نظرية السّعادة عند الفارابي

(2)

محمد المهدي المهري

4 ـ الفطرة وتكوين الملكات :

الفطرة تفيد ماهو طبيعي ، وماهو طبيعي يكون وجوده ، " لا بالصناعة ولا بإرادة الإنسان" 42. أما لفظة الملكة فتفيد ماهو مكتسب أو منحاز من الذات على صورة " هَيْئَاتٌ إذا تمكنت يعسر زوالها " 43.

والفطرة بالنظر إلى إستعمالات الفارابي على ثلاثة أقسام : إمّا أن تكون مرتبطة بالفضيلةالنظرية ،وإمّا أن تكون مرتبطة بالفضيلة الأخلاقية والفكرية أو مرتبطة بالغايات. ونقصد بالفطري في المستوى الأول، تلك المبادئ النظرية التي توجد لكل ذى حسّ سليم ، من غير أن يكون لنا قصد إلى إيجادها ، وهي أوائل البرهان . وتقال الفطرة في المستوى الثاني على الغاية التي تحدد إمكان بلوغ المراد، أو من الشيء أقصى كماله، وهي بمثابة المخطط المسبق الذى يحدد درجات تطور الموجود. المستوى الثالث لمعاني الفطرة هو الذي يعكس في الحقيقة ـ رأي الفارابي ـ في الأخلاق والسياسية والحرية :

فالإنسان من حيث طبيعته معدّ للكمال الأقصى ، الخاص بجنسه ، يكون هذا الاستعداد في البداية ، عبارة عن هيئة ما في مادة معدّة لأن تقبل رسوم المعقولات ، " فعندما تحصل هذه المعقولات للإنسان يحدث له بالطبع تأمل وروية، وفكر، وتشوّق إلى الإستنباط، ونزوع إلى بعض ما عقله أولا، وشوق إليه وإلى بعض ما يستنبطه، أو كراهيته " 44. فنزوع الإنسان إلى ما أدركه بالجملة هو الإرادة ، وتفيد تحول الإنسان نحو الشيء المدرك ، إما أن يكون هذا التوجه عن إحساس وتخيّل، وهذا يشترك فيه الإنسان والحيوان على حد سواء أو " عن روية وعن نطق في الجملة "44. فيسمّى بإسمه الخاص"الإختيار""و" هذا يوجد في الإنسان خاصة " 44.

والسلوك نحو السعادة لا يكون إلا " بأفعال ما إرادية، بعضها أفعال فكرية، وبعضها بدنية " 44. ولكن لا ينبغي السير نحو السعادة، بأي أفعال اتفقت،" بل بأفعال ما محدودة مقدّرة تحصل عن هيئات ما وملكات ما مقدّرة محدودة " 44.

2637

وحال الإنسان تجاه الخير والشرّهو الحـــال متساوي،وأن الإنجـــذاب نحوهـــما ممكـــن من الجهتين. بقي أن التـــرجيح فـــي النهاية هو رهـــين التقدير . وهذه التقديرات مرتبطة بدرجة التشوّق والنزوع الإنساني، فإذا كـــان نزوعـا نحو لذة نظرية، فإن ما يرتسم في الذهن هو غاية نظريـــة ، وتحديـــد طـــرق بلوغها يكون بقوة فكرية. أما إذا كان نزوع الإنسان نحو لذة حسية، فإن الغايـــة التي سترتسم في الذهن لن تكون غاية قصوى ولا هي فاضلة . لذلك ستـــكون الطرق المستنبطة لبلوغها هي طرق خسيسة ومتناهيـــة أي لا تقرن بالغايـــة الأسمى وهي الكمال الإنساني .

ف " .. إمكان فعل القبيح من الإنسان (هو إذن) على مثال إمكان فعل الجميـــل منه ... ثم يحدث بعد ذلك للإنسان حال أخرى، بها تكون هذه الثلاثة على أحـــد أمرين فقط " 45. هذه " الحال" ـ التي يذكرها الفارابي ـ يمكننـــا تسميتهـــا بالطبيعة الثانية، وهي " مكتسبة " وقد سماها الفارابي "ملكة " وهي شبيهـــة بالطبيعة لالكونها مستقلة في حدوثها عن الإرادة ، ولكن صار لها فعل مشابـــه للفطرة بعد أن اكتُسِبت عن إرادة ، يقول الفارابي " أما القوة التي يُفطرُ عليـــها الإنسان في أول وجوده، فليس إلى الإنسان اكتسابها. وأما الحال الأخرى ، فإنـــها إنما تحدثُ باكتساب الإنسان لها " 46. يحدثنا الفارابي عن كيفية رسوخ " هـــذه الملكات" في أنفس أفراد المدينة فيقول : " أما الفضائل العمليـــة والصنـــاعات العملية فبأن يعوّدوا فعلها وذلك بطريقـــين: أحدهما بالأقـــاويل الإقناعيـــة والأقاويل الإنفعالية . حتي يصير نهوض عـــزائمهم نحو أفعـــالها طـــوعا .. والطريق الآخر هو طريق الإكراه .." 47.

يُقرّ الفارابي ـ إذن ـ بأن الإنسانية مكتسبة والأخلاق كلها مكتسبة، والعـــقل ذاته مكتسب، بل إن مبادئ العلوم ـ والتي سبق أن قلنا عنها أنها فطرية ـ هـــي مكتسبة،"... والكليات هي التجارب على الحقيقة، غيـــر أن من التـــجارب مـــا يحصل عن قصد ... فأما التي تحصل للإنسان لاعـــن قصد... يسمّونـــها أوائـــل المعارف ومبادئ البرهان " 48. ويقول أيضا في كتـــاب " الجمـع بـــين رأيـــي الحكيمين " : " العقل ليس هو شيئا غير التجارب، ومهما كانت التجارب أكثـــر كانت النفس أتم عقلا " 49.

هذا الرأي الذي يصرّح به الفارابي هو جدّ منطقي، لأنـــه مـــن الخلف أن نجري

الضرورة، والحتمية الصرفة على عالم الإمكان الذي هو عالم الإنسان ، فالإنسان يسعى إلى أن تكون الضرورة غايته ، ويجهد لاقتناصها من الممكنات، ولكنه لا يحيا الضرورة. وهذا السعي هو بدافع تشوّق عالم الوجوب. وكل هذه المسائل التي سبق التطرق إليها ستجد تفسيرا لها عند الكشف عن المنهج الذي توخاه واتبعه الفارابي في مبحثه .

6 ـ المنهج الرّياضي الأنطلوجي :

يرتكز الفارابي في مسلك بحثه على منهج رياضي أنطلوجي ، إذ ينطلق من مصادرة: أن الوجود إنما هو واحد بالذات مُتكثر بالعَرَض، والوحدة والكثرة ليسا متضادين أو متقابلين، وإنماهما متناسبان، لأن الوحدة تلاحظ في ذاتها وفي الكثرة أيضا . فلو كانا متضادين لما اجتمع ضدّان في شيء واحد. بل تمثل الوحدة في موضوع ما، جوهره وماهيته ، وكذلك حظه من الوجود. والواحد يقال على ما لا ينقسم من الجهة التي قيل عنها واحدة، فهو الثابت في الموضوع الذي سيقال عليه، من جهة أننا سنعرفه به .50.

فمنذ البداية نفترض إذن، أن "المعرفة" و"الوجود" و"الواحد" في تطابق، فلا نعرف من الوجود إلا الواحد، ولا نعرف من الواحد إلا وجوده، ووجود الواحد هو مبدأ معرفتنا به. فيكون أساس الفلسفة ،والمثالية، واللاهوت، ونظرية المعرفة متأصّلا ومبنيا على مبدإ مطابقة الرياضيات بالوجود . كيف ذلك ؟

إذا كان لا علم بما هو كلي ، كما قال أرسطو، فلا بدّ ـ إذن ـ من رسم مخطط تتراتب فيه هذه الكليات تناسبا وانتظاما. ولعلمنا أن الكلي في الموضوع هو ما به تكون وحدته. فينبغي ـ إذن ـ رسم منهج رياضي، ييسّر علينا المعرفة: في أعلى هذا الرسم، أو في أقصاه نضع وحدة الوحدات ، وهي الوحدة الصورية الخالصة، التي تنطبق مع موضوعها انطباقا تاما، ولا يتصور تمايز فيها، من جهة أو ناحية لأنها في تجانس تام ولا تدرك إلا بالعقل الخالص .

وفي أسفل السلم، نضع الوحدة التي لا موضوع لها البتة ، وهي قابلة لأن تكون أي شيء (الأولى : 1=1 و1=الكل)،(الثانية:1=*و*=فرد أو مجموعة أفراد).وبما أن الوَحْدة الثانية لا تعرف إلا بمقابلتها بالوَحْدة الأولى وإضافتها إليها،فهي سَتُشَدّ إليها انشداداً اعتباريا. فبما أن الوَحدة الأولى تنطبق مع

موضوعها بلا تمايز، فهي موجودة، ووجودها هو موضوعها. والثانية، هي غير موجودة لخلوّها من الموضوع، ولكنها غير معدومة، لأن افتراض الحد الأقصى يقضي افتراض الحدّ الأدنى، ولأن قابليتها كي تتقبل أي موضوع يجعلها موجودة بالإضافة، فهي إذن، ممكنة الوجود. فالممكن، هو الحد الأقصى للوجود من حيث التدني . ولكن لا يعني هذا القول أن الممكن هو جزء من الوجود، إلاّ إذا وجد بالفعل، فيكون وجوده هو موضوعه، موجودا بالإضافة على نحوين: هو واجب بالواجب، وممكن بالممكن، فالواجب فيه هو وجوده ووجوده ليس من ذاته ، والممكن فيه هو ذاته خلوا من الوجود. والنتيجة التي نستخلصها تتمثل في كون : الوجود في كل ممكن هو منحة وهبة ترتبط بمبدإ خارجي. والنتيجة الثانية المترتبة عن هذه ،لا وجود إلا للوجود وما وجد عن الوجود فهو وجود.

يقول الفارابي في كتاب " السياسة المدنية " معرّفا الممكن:" هو الذي ليس في نفس طبيعته أن يكون له وجود شيئا وأن يوجد مقابله... وهو على نحوين: أحدهما ما هو ممكن أن يوجد شيئا وأن لا يوجد ذلك الشيء، وهذا هو المادة. والثاني ما هو ممكن أن يوجد هو في ذاته وأن لا يوجد، وهذا هو المركب " 51.ثم في أعلى السلم نجد واجب الوجود (الله) الذي هو فعل محض، وهو موجود بالفرض، لأنه لا يوجد شيء إلاّ متى وضع موجودا، وبالواجب لأنه لا يمكن أن لا يوجد، وإلاّ استحالت المعرفة سلبا وإيجابا، لأنه لا معرفة إلا بالوجوب،".. فهو الموجود الذي إذا اعتبر بذاته وجب وجوده ، ومتى فرض غير موجود لزم منه محال.." 52.

هذا المنهج هو رياضي تحليلي يضع نتائج ثم يستخرج منها مقدماتها ، وبعد ذلك ينطلق من هذه المقدمات فيصل إلى نفس النتائج. فيقول عن الطريق الأول من السّير أنه انتقال من " مبادئ الوجود" وعن الثاني أنه انتقال من " مبادئ التعليم ". فإذا ما قدمنا ـ مثلا ـ أن الوجود واحد، والعلم هو علم بالوجود، إذن العلم هو علم بالواحد، والعلم بالواحد هو علم واحد .

ثانيا: العلم الواحد، والوجود هو علم بالواحد، إذن، العلم بالواحد هو وجود، فتكون النتيجة،أن الوجود علم والعلم وجود. ومن هذه النتيجة نفهم أن كل ما هو عقلي نظري موجود، وكل ما هو موجود عقلي نظري .

فإذا ما وجهنا نظرنا ـ في درجة أخرى ـ نحـــو المحسوس مستعينين بما تقـــدم سنلاحظ، أنه يوجد فيه أربعة أنواع من الوحدات المتناسبة :

1 ـ وحدة جامعة ،2 ـ وحدة مجموعة، 3 ـ وحدة بين جامعة وجامعة ، 4 ـ وحدة بين مجموعة ومجموعة .

فالأولى يلزم أن تكون جامعة لوحدات، والثانية جامعة لمجموعات، والثالثة مـا به توجد الجامعة، والرابعة ما به توجد المجموعة . لذلك فإن كل وحدة من هـــذه الوحدات تدخل في كل وحدة من هذه الوحدات من حيث هي جامعة أو مجموعـة.

ـ ولكن هل أن نظرية السعادة ـ باعتبارها بناء عقليا يربط بين النظر والوجود، يمكن أن تتفق مع ما يتطلبه الواقع الفعلي ؟ وبصياغة أخـرى " أتـرى هـذه النظرية قد أعطت أيضا الأشياء التي بها يمكن أن تحصل هذه بالفـعل في الأمم والمدن؟" 53. يجيب الفارابي ـ بلا تردّد ـ بأنها إذا كانت قد أعطتها معقولـة فإنها قد أعطتها أيضا موجودة، ويضرب مثـالا لذلك ، " إن كـان إذا أعطيت البنائية معقولة وعقل بماذا تلتئم البنائية، وبماذا يلتئم البناء، فقـد أوجدت البنائية في الإنسان. أو يكون إذا أعطي البناء معقولا، فقد أعطي البناء موجودا " 53. فإذا ما أريد لهذه الأشياء المعقولة أن توجد خارج النفس، فيجب ـ في الأول ـ أن تكون أشياء شأنها أن توجد خارج النفس، ثانيا : يلزم " ضرورة عندما يقصد إيجاد هذه الأشياء النظر إلى شيء آخر غير العلم النظري " 54. لأن مـا يوجد خارج النفس ، إما أن توجده الطبيعة، أو أن يوجده الإنسان، وفـي كلتـا الحالتين احتاج أن تقرن به أعراضه وأحواله، غير أن ما توجده الطبيعة، تقترن به الأعراض بالطبيعة، وما يوجـده الإنسان بالإرادة، " فـإن الأعـراض والأحوال التي تقترن بها مع وجودها هي أقصـى بالإرادة" 55، ولكنـها إذا ما وجدت ، لا يلـزم أن توجد كما هي مصورة في الذهن أو على حسب الوجود الذي تختاره لـها الإرادة، لأن مزاحمة إرادات أخرى (من ناس آخرين ومـن الطبيعة) لها ،يدفع بها إلى أن توجد معدّلة 56، ولكن رغم ذلك تبقى لها ماهية معقولة واحدة.

وطبقا لهذه الشـروط يصبـح العلم المدنـي ممكنـا، وسيعتـمد فيه داخـل المنطق الأنطلوجـي، " السيـاق الوضيـفيّ". يقـول الدكتـور محمـد محجوب:" فالتنسيـق المدنـي للوجـود، هذا التنسيق الـذي ينظـر للموجـودات علـى أساس أنها مـراتب ،

والذي يعين المراتب بحسب الوظائف، إنما تتأسس إمكانيتـــه على أرضية مـــن الاختيار الأنطلوجي " 57. إذن، صفة النظام في المدينة تكسي طبيعة وجوديـــة وظيفية ف" ترتيب هذه الموجودات هو أن تقدم أولا أخسّها، ثم الأفضل فالأفضـل، إلى أن تنتهي إلى أفضلها الذي لا أفضل منه ..." 58. ثـــم إنهـــا وظيفيـــة لأن موجودات المدينة ستتوحّد على أساس الإرادة والفعل الوظيفي، إذ أن " الواحـــد (يقال كذلك) على كل شيئين يفعلان فعلا واحدا بالنوع ، إذا كان يبلغ بكل واحـد منهما على حياله إلى غرض واحد بعينه " 59.

إذن، نحن بصدد وجه آخر من التعقل ، وهـــو ذلك المبني، عـــلى" الوحـــدة التناسبية، "حيث تغيب الماهية الفردية، لتحل محلّها العلاقة بين الأفراد، أو بـين المجموعات. فنظرية المجموعات تتراتب بالنظر إلى مقياس: الأقل كثـــرة هـــو الأعلى مرتبة والأكمل وجودا والأثبت معرفة والأقدر في الفعل 60.

فإذا كانت مراتب العالم الفوقي محدّدة قبليا، فإن مراتب المدينـــة يجـــب تحديدها إراديا طبقا لموازين قبلية. فلو ميزنا بين فعل الإرادة والمراتب، فإننـــا سنميز بالفعل نفسه بين الاختيار ومجال الاختيار، وإذا ميزنا بين فـــعل الإرادة وأثار فعلها فإنا بالتالي سنميز بين خلق الإرادة ومرتبة الأثر المخلوق. فالإنسـان المدني مهما كانت مرتبته، يكون له دائما تشوق ونزوع إلى مرتبة أفضل، فـــإذا ما رفعت عنه المعوقات التي هي من خارج ذاته التي بها تجوهره وهـــي النطق ، أمكنه الترقّي بلا توقّف، حتى يدرك السعادة القصوى. والفطرة إنمـــا تعنـــى تطابق الموجود الفعلي مع المعقول الصوري، لا تطابق الإرادة والاختيار مع الواقع الفعلي. فيكون العلم المدني باختصار القول : إرادة تطبيق المعقول الذي هو فـــي النفس على المجال الإرادي الذي هو خارج النفس بالقدر الممكن فيه . فإذا كان الله يخلق بالذات ، والطبيعة " تخلق " بالعرض، فإن الإنسان"يخلق" بالإرادة.

ـ فإذا ما وضع كل موجود في مرتبته التي تخصّه ، نكون بالتالـــي قـــد هيأنا شروط " التناظر" بين عالم الربوبية وعالم النفس والمدنية والطبيعـــة،" فإن السبب الأول نسبته إلى سائر الموجودات،كنسبة ملك المدينة الفاضلة إلـــى سائر أجزائها" 61. " وكما أن العضو الرئيس في البدن هو بالطبـــع أكمل أعضائه، ودونه أيضا أعضاء أخرى رئيسة لما دونها .. كذلك رئيس المدينة هو أكمل أجـزاء

المدينة فيما يخصه .. ودونه قوم مرؤوسون منه ويرؤسون آخريـــن " 62، لأن الوجود الواحد لا يحدث الاختلاف فيه إلا ويصير عودة إلى الوحدة مـــن وجوه كثيرة، وحينئذ سيكتشف الباحث أن العالم الفوقي له نظير في العالم السفلي " ... ثم يأخذ نظائر هذه في القوى النفسانية الإنسانية.. وفـــي أعضـــاء بدن الإنسان ... وأيضا في المدينة الفاضلة، ويجعل منزلة الملك والرئيس الأول فيـــها منزلة الإله الذي هو المدبّر الأول للموجودات وللعالم ، وأصناف ما فيه " 63.

فمبدأ الاختيار لا يعني شذوذا عن النظام، والإرادة الحرة لا تعني استقلالية عن مراتب الوجود، بل الكل يعود إلى إرادة حرة واحدة لها اختيار واحد وفعل واحـد لوجود واحد،بحيث أن " الله تعالى هو المدبر أيضا للمدينة الفاضلة كما هو المدبّر للعالم ، وأن تدبيره للعالم بوجه وتدبيره للمدينة الفاضلة بوجه آخر، غيـــر أن بين التدبيرين تناسبا ، وبين أجزاء العالم وأجزاء المدينة أو الأمـــة الفاضلـــة تناسبا ..." 64.

فهي ـ إذن ـ نظرة كونية واحدة وموحّدة، تبتدئ بالوحدة وتنتـــهي إليـــها، وتبحث عنها فتجدها في كل شيء ، وتجد كل شيء فيها. تكمن سعـــادة الإنسان القصوى في أن يكون واحدا. وعالمه واحد، ومدينته واحدة، وربّه واحد، وقصارى جهده في هذه الحياة أن يرتقي في مدارج الوحدة حتي ينتهي إلى (ويَفْنَى في) الوحدة القصوى، ويتحدّ بالوجود الأقصى ، أو يعود إليه كمعقـــول بعد أن فارقه كمادة " فالكمال في الوحدة، والنقصان في الكثرة " 65. هذا هـــو مفتاح منهج البحث عند الفارابي وهو يستمد مشروعيته من عقيدة إسلامية صميمـة .

الخاتمة :

قد يمكن التنبه ، إلى القيمة التاريخية لمشروع الفارابي، عند مقابلة مقاصـده النظرية بمقاصد كل من كانط وهيجل.

فالسعادة عند الفارابي تكمن (تحصل) عندما يتفق الإنسان مع إنسانيتـــه، فإذا كان منتهى كمال الإنسانية مشدود إلى المطلق، فإن فعل الإنسان النظـــري والعملي لا يسكن إلا في الفكرة، أما في الواقع فهو حركة متجددة ومتواصـــلة. لذلك سيعرض الفارابي سؤاله الرئيسي كالآتي : ماهو الإنسان الذي يجـــب أن

يكون ؟ عوض سؤال : كيف يظهر الإنسان في علاقته بموضوعات المعرفة والسلوك والوجدان ؟" فالمظهر"أو " الظاهرة" التي هي موضوع علم وصفي ، تختفي تماما من قصد الفارابي ليصبح الإنسان نتيجة فعل وكسب، ولينصهر هذا الفعل فيما بعد في الغاية ، التي تنتهي هي بدورها إلى فكرة مثالية محضة. فإذا كان قصد كانط من فلسفته النقدية : تحديد الشروط الذاتية لإمكان الواقع كظاهر وبالتالي كمعرفة، فإن فلسفة الفارابي ترمي إلى تحديد الشروط الوجودية لإمكان الذات العارفة،" قبل " و" بعد" و" أثناء " المعرفة .

وإذا كانت فلسفة كانط ذات نزعة سكونية ماهوية، فإن فلسفة الفارابي، ذات نزعة ديناميكية أخلاقية. فكانط أراد أن يؤسس المفهوم بأن استمدّ الماهية (باعتبارها إمكان سلوك وإمكان معرفة) من الوجود الفعلي. والفارابي أراد أن يؤسس الفعل على أساس تحديد الغاية بإطلاق كمفهوم بإطلاق.فهو يشرّع للفعل بواسطة الفكرة (أو المفهوم) ، وكانط يستنتج الفكرة (أو المفهوم أو الماهية) من العقل المنجز (أو الممكن) ، ثم بعد ذلك يضع النتيجة كشرط إمكان، فانتهى الأول إلى فلسفة الفعل والسياسة وقد ابتدأ بفلسفة مثالية ، وانتهى الثاني إلى فلسفة مثالية ترانسندنتالية وقد ابتدأ بفلسفة إجرائية .

هيجل اقترب ـ أكثر ـ من الفارابي في فلسفته، ولكنه لم ينحز إلى الغاية على حساب الفعل أو للفكر على حساب الوجود الواقعي (كالفارابي)، ولا هو فصل بين الماهية والموجود (الفعلي) أو بين الفكر والوجود (ككانط) وإنما هو أدمج الغاية في الفعل، والفكر في الوجود، فوفّق في أن يجمع عندئذ بين المنهج الديناميكي والمنهج السكوني. ولكن لن يكون هاجس هيجل الفلسفي مرتبطا بالتساؤل عن كيفية إدراك الإنسان السعادة. لأن الواقع الذي تبحث فيه الفلسفة الهيجلية هو واقع مشوب بالبؤس والقطيعة والتمزّق والتجاوز والحركة الدائبة والتطور المتسارع . وقد يدرك الإنسان (نوعا) من السعادة، إذا ما احتال في أن يستقر في حركة هذه الجدلية الأصلية، ولن يكون ذلك إلا بإقامة المؤسسات في شتى الميادين الإجتماعية، والتي تنصهر شيئا فشيئا في بعضها البعض، لندرك في نهاية المطاف الدولة العالمية ....\ .

المراجع:

كتب للفارابي

*كتاب" تحصيل السعادة" للفارابي، حققه ،الدكتور جعفر آل ياسين ـ ط.الأولى دار الأندلس 19

(ـ6ـ) ص 68 فقرة 27 (ـ7ـ) ص 81 فقرة 49 (ـ9ـ) ص 61 فقرة 16

(ـ26ـ) فقرة 27 ص 68 (ـ33ـ) ص 92 فقرة 57 (ـ47ـ) ص 79 فقرة 47

(ـ53ـ) ص 64 فقرة 21 (ـ54ـ) ص 65 فقرة 22 (ـ56ـ) ص 66 فقرة 23

*" التنبيه على سبيل السعادة" للفارابي حققه :الدكتور جعفر آل ياسين ـط ـ الثانية دار المناهل 1987.

(ـ4ـ) ص 68،67 فقرة 13 (ـ18ـ) ص21،20.ط.الهند (ـ20ـ) ص 51 فقرة 3

(ـ21ـ) ص 52 فقرة 4 (ـ22ـ) ص 53 فقرة 5 (ـ23ـ) ص 58 فقرة 9

(ـ24ـ) ص 64 فقرة 12 (ـ25ـ) ص 65 فقرة 12 (ـ45ـ) ص 53،52 فقرة 5

(ـ46ـ) ص 53 فقرة

*"آراء أهل المدينة الفاضلة" قدم له الدكتورألبير نصري نادر ـ الط. الخامسة. دار المشرق بيروت سنة 1985

(ـ3ـ) ص 131 ، 132 (ـ5ـ) ص 105 ، 106 (ـ8ـ) ص 105(فصل عن الفرق بين الإرادة والاختيار)

(ـ11ـ) فصل 22 ص 101 (ـ12ـ) فصل 24 ص 105 (ـ14ـ) ص 63

(ـ28ـ) ص 112 (ـ29ـ) ص 113 (ـ30ـ) ص 114

(ـ31ـ) ص 115 (ـ44ـ) ص 105و106 (ـ58ـ) ص 66 الفصل 13

(ـ61ـ) ص 122 (ـ62ـ) ص 120 و 121

* كتاب " المِلّة " ، تحقيق، محسن المهدي، دار المشرق . الط. الأولى 1986

(ـ2ـ) ص 52 فقرة 11 (ـ27ـ) ص 43 فقرة 1 (ـ32ـ) ص 46 فقرة 4

(ـ34ـ) ص 46 فقرة 4 (ـ60ـ) ص 62، 63 فقرة 19ـ20 (ـ63ـ) ص 63 فقرة 21

(ـ64ـ) ص 64 فقرة 25 (ـ65ـ) ص 62و63 فقرة 19و20

* "إحصاء العلوم" نشر مركز الإنماء القومي .ط . 1991

(ـ19ـ) ص 7 (ـ42ـ)

* كتاب " الحروف " ، حققه ، محسن المهدي ، دار المشرق ، بيروت 1969

(ـ 35ـ) ص 135 فقرة 116 (ـ 36ـ) ص 137 فقرة 120 (ـ 37ـ) ص 76 فقرة

(ـ 38ـ) ص 139 فقرة 122 (ـ 39ـ) ص 131 فقرة 108 (ـ 40ـ) ص 132 فقرة 110

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(ـ41ـ) ص 152 فقرة 143.

* كتاب "الواحد والوحدة "، تحقيق محسن المهدي، دار توبقال للنشر.ط. 1998

* " رسالة في العقل " تحقيق موريس بويجي الط. الثاني دار المشروق ، بيروت

(ـ13ـ) ص 18 و 19 فقرة 22و23 (ـ15ـ) ص 29 فقرة 40

(ـ16ـ) ص 30 فقرة 43 (ـ17ـ) ص 30و31 فقرة 46،45،44.

** الجمع بين رأي الحكيمين" قدم له الدكتور ألبير نصرى الط.الرابع، دار المشرق سنة 1981.

(ـ10ـ) ص 99 (ـ48ـ) ص 98و99 (ـ49ـ) ص 99

** السياسة المدنية " تحقيق الدكتور فوزي النجار ، بيروت 1964.

(ـ51ـ) ص 57 و 58

* " الدعاوي القلبية " ، طبعة الهند ، 1346هـ .

(ـ43ـ) ص 2و3.

*كتاب المقولات " قاطيغوراس" نشرة مجلة المورد العراقية ، المجلد الرابع، العدد الثالث 1975 .

(ـ43ـ) ص 153.

* " المدينة والخيال " (دراسات فارابية) ـ للدكتور محمد محجوب، الطبعة الأولى سنة 1989.

(ـ57ـ) ص 8 .

" ان الديمقراطية لن تصبح نظاما سياسيا عندنا قبل ان تتحول بحق الى ثورة اخلاقية يشعر من خلالها كل فرد انه عضو مؤسس لها، مقصود ومسؤول، وليس تابعا ولا مقلدا، اي عندما يشعر كل فرد انه لا يخضع نفسه لقانون المساواة والحرية والعدل ارضاء للغير او انتظارا لمكافأة او سعيا وراء مصلحة شخصية، ولكن ايمانا واقتناعا بانها الطريق الصح والمخرج الوحيد الحق".

د. برهان غليون

الأثر المعرفي لعقيدة التوحيد

بقلم : الحبيب المبروك

العقيدة مشتقة من اعتقد ، واعتقد بالشيئ صدقه وتدين به، وعقد قلبه وضميره ، وتجمع العقيدة على عقائد، وتعني بالدلالة على هذا المعنى المعتقد والاعتقاد، وقد تكون لفظة العقيدة أصلا مشتقة من العقد ، فيقال عقد الشيء أي ربطه وأحكمه .

أما المدلول العام للفظ العقيدة فيدل على التصديق الجازم المتأكد بمجموعة من القضايا الدينية أو الفلسفية أو العلمية . فالعقيدة هي الإيمان بحقائق معينة إيمانا قطعيا لا يقبل الشك أو الجدل . وتكوّن المعتقدات والتصورات رؤية متكاملة عن الوجود ، فهي تحل لغز الوجود وتفسر للإنسان سر الحياة والموت وتجيب عن مجموعة من الأسئلة الوجودية الخالدة : من أين ؟ وإلى أين ؟ ولمَ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعتبر عقيدة التوحيد محور كل الرسالات السماوية باعتبار مصدرها الواحد . يقول تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدينَ ولا تَتفرّقوا فيه » (1) حيث إنها كشفت حقائقَ وجوديةً عديدةً تجريديةً في الغالب تتصل بالوجود الإلاهي والملائكة والمعاد ... الخ .

إلا أنّ عقيدة التوحيد حرّفت في بعض الرسالات السماوية وخاصة عند اليهود والنصارى . فسقطت في التشبيه والتجسيم ووصلت إلى حد الوثنية (التثليث) فجاء الإسلام وأحدث نقلة نوعية على عديد المستويات منها المستوى

1ـ سورة : الشورى الآية 13

التصوري فهدم كل أنواع وأشكال والوثنية . وحوّل العقل البشري من العطالة والسكون والتقليد إلى الفعل والإبداع والإجتهاد . وأسس عقيدةً توحد الله في الذات والصفات، وتعطي معني جديدا للإنسان الخليفة في علاقته مع الطبيعة والإنسان والوجود بصفة عامة .

أجابت العقيدة الإسلامية منذ بداية نزول الوحي إجابات قطعية واضحة عن أسئلة الإنسان الوجودية ، فبينت أول الآيات نزولا مصدر الكون ، يقول تعالى :« اقرأ باسم ربّك الذي خَلَقَ »(2) فالله تعالى هو الذي خلق الموجودات جميعا (الوجود بكل مكوناته). بينت في نفس السورة مصير الوجود ، يقول تعالى (إنّ إلى ربك الرجعى) (3) فالله تعالى في نظر الموحّد هو المتصرف الوحيد في الكون باعتبار أنه موجده والقادر على افنائه .

وبيْن بداية الحياة في الكون ونهايته (المعاد) حددت عقيدة التوحيد مهمة الموحِّد وهو الكائن الخليفة الذي حمل أمانة التكليف وتأهل لمهمة الاستخلاف نظرا لتميزه عن باقي المخلوقات ، قال تعالى « وإذْ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً » (4)

لقد حولت عقيدة التوحيد اهتمام الإنسان وحددت وجهته نحو هدف واضح وسليم وهو التحرر من التقليد والخرافة والأسطورة ومن القيم التي تشده إلى الأرض وذلك حتى يرتقي بذاته ويحقق إنسانيته ويجسم أمانته .

اتجهت هذه النقلة إلى صميم العقل البشري فأعادت صياغته

2ـ سورة العلق الآية : 1

3ـ نفس السورة الآية :8

4ـ سورة البقرة : 30

2648

وحددت اهتماماته للتعامل السليم مع الكـــون (بالفهـــم والإستثمار). إذ يرى الموحد الطبيعة بكل أجزائها متـــرابطة العناصر منسقة ومنظمة رغم تضاد مظاهريا (حرارة ، برودة ، رياح ، هدوء ...) .

إن عدم الاتساق الظاهري للكون يخضع لمجموعـــة مـــن النواميس والقوانين تدل على قدرة وعناية الهية ، فالموحّـــد يؤمن إيمانا قطعيا ان اللّه تعالى لا يمكن أن يصدر عنه العبـث ، فالعبث منفي عن الذات الالهية يقـــول تعالـــى:« وما خلقناالسماء والأرض وما بينهما لاعبين ، لو أردنا أن نتخـــذ لهْواً لاتخذناه من لَدنا إن كنّـــا فاعلين » (5) .

يعتبر الانسان في عقيدة التوحيد السلطان في الكون ، فهـو يربِط وجوديا بالكون بما أنه جزء منه، والكون هو ميدان الفعل والكدْح وتحقيق مهمة الاستخلاف.

إن الموكّد كائن جدي ومسوول بعيد عن التقاليد والعبـــث والهامشية يسعى لتحقيق مهمة الأمانة بزرع قيـــم الخيـــر والفضيلة والإيمان ، ونزع قيم التفاضل والعنصرية ، فعقيـــدة التوحيد ترفض التفضيل على أساس عرقي أو لوني باعتبارها أسسا مغلوطة وغير علمية ، وتقيم دعائم إنسانية واحـــدة ، تحمي الجماعة من الارتكاس .

اتجهت العقيدة الإسلامية إلى الإنسان فأعادت بناء عقلـــه وتصوراته ، ورسمت أهدافه وتوجهاته، فدعته إلى حســـن استثمار الكون واستغلال خيراته تحقيقا لمهمة التعمير كمـــا نظمت علاقاته المتنوعة مع الكون ومع نفسه ومع خالقه ومـــع الآخرين .

5ـ سورة الأنبياء الأية 16

المصلح: محمد بن علي التميمي المغربي

المتـوفى سنـة 1869

بقلم: جلّول عزّونة

I) المصـــادر:

1) آثار الشيخ المغربي التميمي المخطوطة

أ) ـ تعديل المرقاة وجلاء المرأة

[حاشية على: مرآة الأصول للمك خسرو، المتوفّي سنة 885 هـ]

توجد نسخة منه في مكتبة مصطفى فاضل باشا الملحقة بدار الكتب المصريّة تحت رقم: 11 علم الأصول ـ ومصطفى فاضل باشا هذا هو إبن ابـراهيم باشا وأخ الخديوي إسماعيل، وقد توفّي مصطفى فاضل سنة 1875. (1)

2) كتاب: غرائب الإعتراف ونزهة الألباب لمحمود الألوسي صاحب كتاب: روح المعـاني في تفسير القـرآن العظيم (2) الكتب الـوطنيّـة ببغـداد. وقـد طبع بمطبعة الشابنـدر ببغداد على نفقة صاحبها سنة 1327 هـ. 451 صفحة وقد التقى الشيخ التميمي في إسطنبول عند زيارته لها: 1269 هـ.

3) أعـلام الفكـر الإســلامي في العصر الحديث لأحمد تيمـور بــاشـا (1) 1930م القاهرة ـ 1967.

وقد جـاءت ترجمة محمود التميمي المغـربي من 241 الى ص 244 وهي ترجمة ضـافيّة، اعتمـد فيها مصـدرا مكتوبـا وهو كتـاب الألوسي المتقـدّم الذكـر أي غرائب الإغتراب واعتمد فيها أساسا على روايات شفويّة عديدة استقاها مباشرة لـدى عـدد من شيوخ الأزهـر ممّن عـرف مبـاشرة الشيخ التميمي بـالزمـالـة في التـدريس، أو تـلامـذته الـذين تـرك لـديهم الأثـر الطيّب. وممّن نقل حـديثهم

وشهادتهم عن الشيخ التميمي ذكر: الشيخ زين المرصفي وعبد الله فكري باشا.

وهذه الترجمة التي كتبها أحمد تيمور هي التي استغلّها أساسا الأستاذ أبو القاسم كرّو في مقاليه الإثنين المنشورين حول الشيخ التميمي المغربي:

أ) دور الزيتونة في النهضة العربية والاسلامية المعاصرة

مجلّة المنهل (السعودية) عدد 456 ــ سبتمبر 1987 من ص 82 الى ص 93.

ب) دور الزيتونة في النهضة العربية والاسلامية المعاصرة

جريدة الصباح (تونس) الجمعة 29 جانفي 1988 ص 8.

4) عزالدين المناصرة، **شخصية تراثية فلسطينية: الشيخ أحمد التميمي، مفتي مصر في عهد محمد** على باشا، [وهي ترجمة مخطوطة، حقّقها المناصرة وقد كتبها ابنه محمد أحمد التميمي سنة1902. وأحمد التميمي كان أحد خصوم الشيخ التميمي المغربي].

مجلة بيادر (الفلسطينيّة) من ص 16 الى ص 31 سنة 1992 عدد مزدوج 7/ 8ـ [فصليّة ثقافيّة ـ تصدر عن دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية].

II) المراجع(14)

1) باللغة العربية:

أولا: مراجع عامة عن النهضة العربيّة:

أ) الجبرتي: **عجائب الآثار في تراجم الاخبار** ـ طبعة بولاق 1290

ب) علي مبارك شاه: **الخطط التوفيقيّة، (وخطط جديدة)**

أنظر بالخصوص الجزء الأوّل من ص 65 الى ص 77.

ج) فريد باي: تاريخ محمّد علي

هـ) محمـد بن ابراهيم الأحمدي الظواهـري: العلم والعلماء ونظام التعليم طنطا ـ 1904.

و) الياس الأيوبي: تـاريخ مصر في عهد الخديوي اسماعيل بـاشا جزءان ـ القاهرة: 1341 هـ 1923 م.

ثانيا: مقالات

أ) ابراهيم حلمي: رؤية الأزياء القـرن 19 في مصر، مجلّة: الفنون الشعبية (مصر) عدد 34 ـ ديسمبر 1991 ـ من ص 140 الى ص146.

ب) مجلة الهلال (مصر) جـانفي 1989 ـ عـدد تذكـاري عن فنّ التصـوير (بعد مرور مائة وخمسين سنة على ظهور هذا الفنّ).

[بالعدد صـور عديدة تاريخيـة مهمّة عن الشخصيات السيـاسية المصريّة في القرن التاسع عشر]

ج) مجلة الهلال (مصر) جانفي 1991 [صور مهمّة عن نفس الفترة]

د) جلول عـزونة: في النهضـة العربيـة ـ مقـالان صدرا في جـريدة الصبـاح (تونس) ـ آخـر السبعينات وقد أثارا بعض ردود الفعل لـدى القراء. انظر ردّ كلّ من الحبيب السويسي ومحمد الأصفـر المحامي... (1979) = الصباح : 24 و31 ماي ـ ص12 و 13.

ثالثا: تراجم خاصّة بالشيخ المغربي التميمي

أ) حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر ـ مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكوش ــ نشر بيت الحكمة ـ قرطاج ــ تونس بالاشتراك مع دار الغرب الاسلامي ـ بيروت ـ المجلّد الاول ـ 1990 ص112 و 113.

ب) محمّـد محفـوظ: تـراجم المؤلفين التــونسيين ــ دار الغـرب الاسـلامي ـ بيروت، لبنان ـ 1986 ـ الجزء الخامس ـ ص 203.

ج) البغـدادي إسماعيل باشـا: إيضاح المكنـون ـ الجزء الاوّل ـــ ص 295 ـ اسطنبول 1945 ـ 1947 ـ (مجلدان)

د) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ـــ دار إحياء التراث العربي ـ دون تاريخ ـ الجزء 10 ـ ص312.

هـ) الزركلي (خير الدين): طبعة دار العلم للمـلايين بيروت ـ لبنان ـ الطبعة السابعة ـ مجلد 2 ـ ص 88 ـ 1986.

[الطبعة الثالثة ـ ج2 ـــ ص 82، ذكر سنة وفاة التميمي 1286 هـ وقد غيّر الزركلي تـاريخ الـوفاة في الطبعـة الخامسة فصـار 1287 هـ (ج 6 ص 299 ـ 300). دون أن يذكـر مستنده في هـذا التغيير، فهل يكون ذلـك كتاب: **الروض النضير**؟ (5).

و) مجلة حقـائق عدد 402 ـ 11 جـويلية ـــ مراسلة من بيروت حـول وقائع ندوة: **لبنان والعالم** العربي: نحو نهضة جديدة؟

2) المراجع باللغة الفرنسية:

a) Gouin Ed. l'Egypte au XIXe siècle, Histoire militaire et politique, anecdotique et pittoresque de Mérémet Ali, Ibrahim Pacha. Soliman Pacha - Paris, 1847.

b) Félix Mengin: Histoire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohamed Aly ou récit des évenements politiques et militaires qui ont eu depuis le départ des Français jusqu'en 1823.

2 volumes - Paris - 1823

c)Félix Mengin: Histoire sommaire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohamed Aly. (1823 - 1838) - Paris 1938.

d) P. Merruau: L'Egypte - contemporaine de Méhémet Aly à Said Pacha Paris - 1858.

e) P. Mouriez: Histoire de Méhémet Ali - 5 volumes Paris - 1855.

f) Général M.Weygand: Histoire militaire de Mohamed Aly et de ses fils. Paris - Imprimerie Nationale 1936 - 2 Volumes.

P.Ravaisse: Ibrahim Pacha (article dans la Grande Encyclopédie Volumes

XX P. 520.

h) Encyclopédie de l'Islam:

1ère édition - Leyde et Paris

2ème édition ... en cours.

Articles:

- Al Azhar

- Ali Mubarek Bacha

- Al Badjuri - T.I - P.569 et 570 par TH.

- Dar W. Juynboll (1ère édition).

- Ibrahim Pacha - T.II - 1927 (1ère edition) par P.Kahle. P.466 à 468.

- Khédive: T.II (1ère édition) par J.H. Kramers dela p. 995 à la P.1010.

k) Grand Larousse en 11 volumes - article Ibrahim Pacha (avec un portrait).

J) Le Million (Encyclopédie en 15 volumes) - T. 10 - Geange Batelière - voir Chapitre: L'Egypte

(Histoire).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عائلة محمد علي

1 ـ محمد: 1805 ـ 1848

2 ـ ابراهيم باشا: 1848 (من جوان الى نوفمبر ـ يوم 10)

3 ـ عباس الاول: 1848 ـ 1854

4 ـ سعيد: 1854 ـ 1863

5 ـ اسماعيل: 1863 ـ 1879

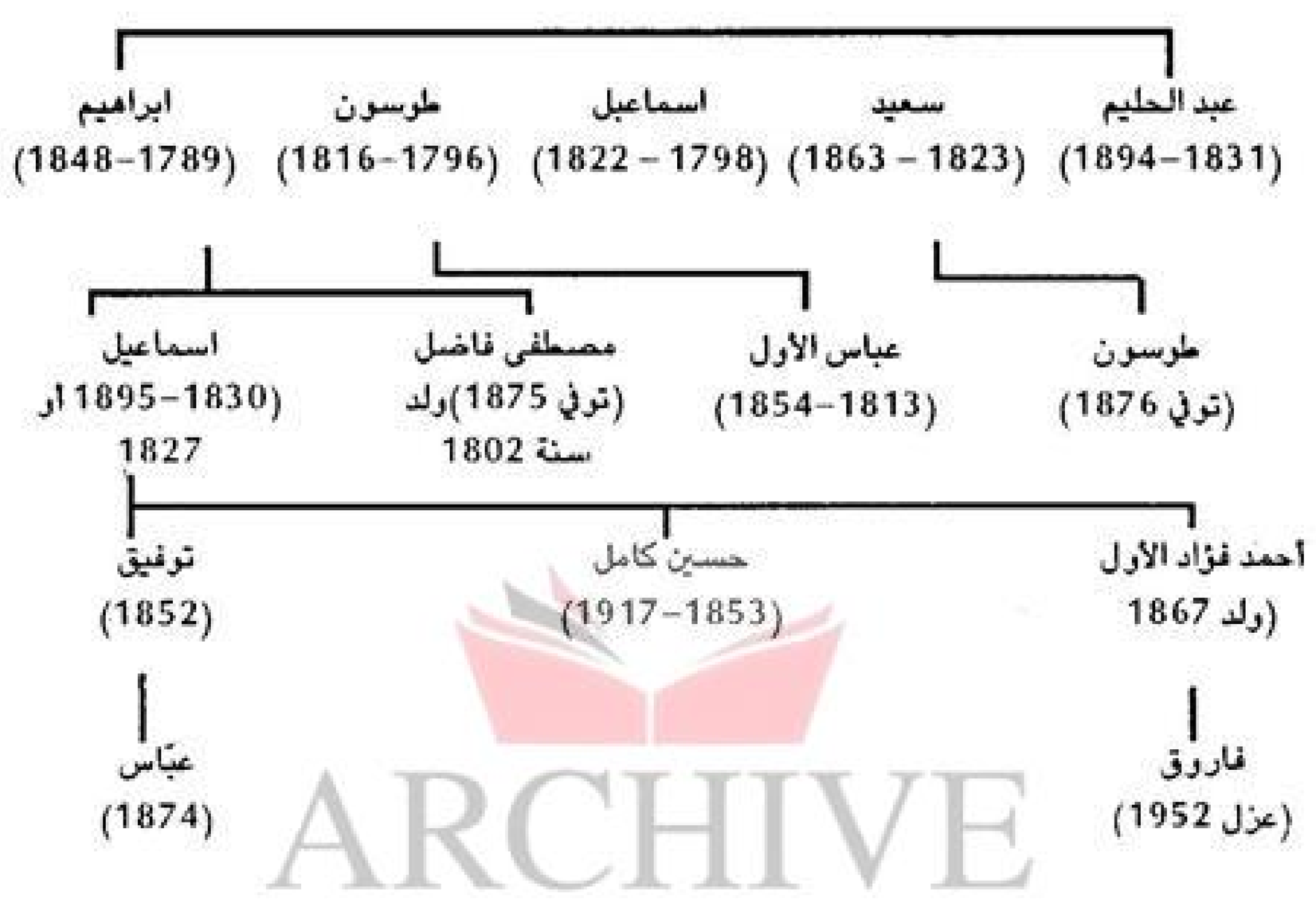
6 ـ توفيق: 1879 ـ 1892

7 ـ عباس الثاني حلمي: 1892 ـ 1914

8 ـ حسن كامل (سلطان) ـ 1914 ـ 1917

9 ـ أحمد فؤاد: 1917

10 ـ فاروق: عُزِل سنة 1952 (6)



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حياة الشيخ التميمي المغربي وتأثيره في النهضة

1ـ في تونس :

ولد سنة 1807م ـ 1222 هـ بمنزل تميم حسب أبو القاسم محمّد كرّو في مقاليه الالمذكورين. ولم نجد ذكر تاريخ الميلاد ومكانه إلاّ في هذين المرجعين. بينما يقول حسن حسني عبد الوهاب أنّ «محمّد بن علي شهر التميمي. من بيت قيرواني قديم جاء أوائله الى الحالضرة واستقرّوا بها» (7) ولم يذكر أبو القاسم كرّو من المراجع إلا فصل أحمد تيمور.

ودرس الشيخ التميمي بجامع الزيتونـة بتونس العاصمة حيث أنهى تعليمه. ثمّ انتقل الى مصر.

ونحن إذن لا نكاد نعـرف عن دراسته وحياتـه في تونس إلا أنّـه تلّقى دراسة متينة، حسـب مناهج تعليم ذلك الـوقت، لأنه سيفـرض نفسه فكـريّا في مصر انطلاقا من تكوينه في تونس، ومـن ألمع المدرّسين بجامع الزيتونة في الربع الأول من القـرن التـاسع عشر نجـد اسماعيل التميمي، القـاضي ثمّ المفتي، صـاحب عديـد الفتاوي والـرسائل لعلّ أشهـرها: المنح الإلاهيّـة في الردّ على الضـلالة: الوهّابيّة (8). ومن المرجّح إذن أن يكـون الشيخ التميمي قد تتلمذ على إسماعيل التميمي وغيره من طبقة مشائخ ذلك العهد.

2 ـ في مـــصر :

يقول أحمد تيمـور لا الألوسي كما ذهب الى ذلك كـرّو: «حضر لمصر كبيرا من بلـده، فلم يتلقّ العلم بالأزهـر، بل جـاءها عـالما»... وبعـد إشرافه على نظـارة مسجـد أبي الذهب وأوقـافه، اتّصل بـابراهيم بـاشا، الإبن الأكبر لمحمّـد علي، وقائد جيـوشه المظفّـر فضمّه إليـه وكلّفه بتعليم أولاده اللغـة العربيـة وهم أحمد المتوفّي سنـة 1858 واسماعيل (1830 ـ 1895) ومصطفى فاضل المتـوفّي سنة 1875. وكـان لـه تأثير كبير على توجّـه هـؤلاء الأمـراء: «وقد كـان لتعلّق هـذا الشيخ بالنهضة والتطوّر آثار واضحة في تكوين أولاد ابراهيم باشا وخاصة منهم مصطفى (فـاضل) واسماعيل الـذي نعلم جيّـدا أنـه كان أكثـر حماسـة وتعلّقـا بالحضارة الغربية وبالتطّور الحديث من أبيِه وجدّه». (9)

وقد لعب دور الجليس والمستشار لابراهيم باشـا، ونحن نعلم مكانة ابراهيم لدى أبيه ومكانته السياسيّة والعسكريّة في الدولة، يقول أحمد تيمور:

«واتّصل بابـراهيم باشـا... فعرف فضله وأجلّـه وائتنس بمجالستـه... وكان يـرسل لـه عجلته تنتظـره عنـد الأزهـر ، فإذا أنهى الشيخ دروسه بـه ركب فيهـا وذهب الى القصر العالي فـدرس للأمراء وتغـدّى مع والدهم وجالسـه في غالب الأحيان، ثمّ يعود بالعجلة الى مقرّه.

وبقدر ما كانت علاقة الاستاذ بتلاميذه الأمراء، أبناء ابراهيم باشا، حسنة. قوامها الاعجاب والتأثّر من ناحيةوالرأفةوالرعاية من ناحية أخرى. كانت علاقة الشيخ المغربي التميمي بعبّاس ابن طوسون (وهو ثالث الأمراء الذين سيتلّون العرش تحت اسم عبّاس الأوّل ـ وقد ولد سنة 1813) متشنجة، حاقدة من جانب عبّاس ضدّ الشيخ الذي كان لا يتوسم فيه أيّ خير لمصر، وكان يعامله بشدّة أمام عمّه ابراهيم باشا. يقول أحمد تيمور: «إن عباسا الأول كان قبل توليّه يحضر مجلس عمّه ابراهيم والشيخ معه وكان عمّه يؤنّبه على لعبه بالحمام ولهوه ويشتدّ عليه، فيساعده التميمي ويسمع عباسا الكلام القاسي حتّى يخاطبه بالتصغير ويقول له: «يا غلام اسمع نصائح عمّك، فحقد عليه عبّاس». (11)

وقد يقتصر البعض على هذه الجوانب الذاتيّة في تفسير انقلاب عبّاس الأول ضدّ النهضة وضّد الشيخ التميمي، ولكنّ نحن نعرف أنّ هناك أسبابا أخرى أعمق لعلّ أولها هو الصراع الخفيّ بين أبناء العمومة وبين ابراهيم وأخيه طوسون، الابن الثاني لمحمد علي الذي كان حتى وفاته سنة 1816 الابن المفضّل لمحمّد علي على اعتبار أنّ ابراهيم ربّما لم يكن إلاّ ابن زوجة محمد علي الأول، والذي استبناه عند زواجه بها (12) ثمّ وهذا هو الأهم، عودة القوى المحافظة من مشائخ الأزهر وغيرها من فئات الشعب المصري الأمي، الى الظهور والتأثير بعدما كبح جماحها وخوّفها وروّعها محمد علي وابنه ابراهيم طيلة سنوات. ولنا حول هذا شهادتان:

أ) شهادة أحمد تيمور:

«وكانت فيه حدّة قلّ من يتحمّلها، لذلك لم يحضر عليه من شيوخ الأزهر إلاّ قليلون، منهم الشيخ ابراهيم السقاء والشيخ مخلوف المنياوي وآخرون».

وهذه الشهادة على قصرها مهمّة جدّا لأنّها تظهر لنا واقع الصراع الخفيّ والظاهر، الدائر عندئذ في الأوساط المثقّفة والعلميّة بالأزهر وغيره. فهناك عدد قليل من العلماء يسايرون النهضة ويدعون لها ويباركون تجديداتها ويتّصلون

بالقصر ويتخاصمون مع الصنف الثاني وهم الأكثريّة من المشائخ المحافظين و «المتعفّفين» عن الإتّصال بالسلطة ورموزها، ويصل بهم الأمر الى حدّ مقاطعة دروس الخصوم، وقد يلتجىء المناصرون للنهضة من أمثال الشيخ التميمي المغربي الى رفض القيام بدروس معيّنة بتعلّة: «عدم وجود الأكفّاء» لحضورها كما فعل عندما طلب منه أن يقرأ لهم المطوّل. ولم يستجب ذلك إلاّ بعد إمضاء عريضة من الطلبة وتدخّل الديوان الخديوي مباشرة في المسألة وفرض الأمر على الشيخ فرضا.

ويمكن لنا، حسب ما لدينا من مصادر ومراجع أن نذكر بعض الأسماء لمشائخ الأزهر من الطرفين:

فنجد بجانب المصلحين والمجدّدين، أنصار النهضة والتقدّم: الشيخ التميمي المغربي وكأنّي به رأس هذا الحزب منذ قدومه مصر والى حين نفيه أي تقريبا منذ سنة 1827 (13) الى سنة 1848 ومعه الشيخ مخلوف المنياوي صاحب المبادرة في إمضاء العريضة المذكورة، والشيخ ابراهيم السقّاء. والشيخ زين المرصفي... والشيخ عبد العظيم والشيخ اليزيدي والشيخ عباسي المهدي وخليل الرشيدي ونجد بالجانب الأخر: كبار المشائخ: الدمنهوري، والاشموني، وابراهيم بن محمّد الباجوري الذي كان يحضر حلقته مئات من الطلبة والمستمعين بينما لايتجاوز عدد الطلبة في الحلقات الأخرى العشرين نفرا، كما لاحظ ذلك بنفسه عبّاس باشا عند زيارته للأزهر (14) وكان الباجوري حسب أحد تلامذته الشيخ الطنطاوي، وأظنّه من حزبه كذلك: «هو أعلم علماء الأزهر» (15) وقد ترك عشرات الشروحات والحواشي. وتولّى مشيخة جامع الأزهر من سنة 1847م (1263هـ) الى وفاته سنة 1861م (جوان) 1277هـ ويمكن أن نضيف الى هذا الحزب الشيخ أحمد التميمي، مفتي مصر في عهد محمد علي.

ب) شهادة محمد أحمد التميمي:

وهو ابن الشيخ أحمد التميمي، مفتي مصر في عهد محمّد (16) وقد كان

لكلّ منطقة ومـدينة مفتيهـا ، فنظّم محمّد علي، بإعـانة ابنه ابـراهيم باشـا، خطّة الافتاء وجعل مفتي مصر رئيسا لكلّ المفتيين وضرورة التزام كلّ هؤلاء العلماء بما يـذهب اليـه رئيس الافتـاء إذا ما أصـدر فتـوى في مسألـة مـا.«الفتيا في كـافّـة الاحكام الجاريّة بالقطـر التي انحصرت في ذاته وحسب شهادة الابن، التي أرّخ فيهـا لحياة والـده، فإنّ محمّـد علي كان يجلّ كثيرا الشيخ أحمد التميمي ويـناصره وتربطه به علاقات وديّـة (ص23). وقد عُزِلَ المفتي التميمي إثر عزل محمد علي وهذه الأسباب حسب شهادة الإبن:

« وفي سنـة 1264 هـ ، عنـدما تخلّى محمـد علي باشـا عن ولاية مصر وتـولى ابـراهيم بـاشا. انفصل الأستـاذ عن منصب الإفتى... وحقيقـة السبب، هـو أنّ ابراهيم بـاشا قبل ولايتـه كانت تعـرض له بعض مسـائل تختصّ بالشرع ويجب التسـاهل فيهـا لجانب صـالحه. فكان الاستـاذ لا يـوافق على الخروج عن حـدّ الشرع. فكان ابـراهيم باشـا يتأثّر من ذلـك ولايجد بدّا من الإذعان، لما يـرى من إقبال محمـد علي باشـا على الأستاذ وتنفيذ أغـراضه الشرعيّة. فـاختار ثـلاثة من علماء الأزهـر ممّن ينـافسون الأستـاذ وهم الشيخ التميمي المغـربي والشيخ عبـد العظيم والشيخ اليـزيـدي، ورتّب لهم مـرتبات على أن يتربّصـوا لـلأستـاذ فإذا استشهد في حكم عارضوا فيه ورفعوا أمره الى الديوان،فيأمر محمد علي باشا بعقد مجلس من العلماء بـالقلعة والنظر فيـه فتجتمع العلماء والقاضي ويطلـع الأستاذ وتجري المناظرة في ذلـك الحكم، فيطلع الحقّ بيد الأستاذ وينزل منصـورا وينزلون مخذولين وتكرّر ذلك مـرارا فلم ينجحوا ولا في مـرّة. فكان ذلك ممّـا يزيـد في ثقة محمد علي باشا بالاستاذ ويضاعف في احترامـه وعلوّ شأنه عنده. ويزيد في حقد ابراهيم باشا وتأثّره. فلمّا تخلّى محمد علي باشا عـن الولاية وتولّى ابراهيم باشا كان أوّل اهتمامه في عـزل الأستاذ وقلّـد الأستاذ الشيخ عبّـاسي المهدي وهـو حينذاك شاب لم يبلغ الخامسة والعشرين من العمـر وجعل الشيخ خليل الرشيدي، أمين فتواه...» (ص22 و 23).

وهذه الشهادة مهمّة جـدا وثريّة، رغم انحياز صاحبها للـدفاع عن أبيه وهو شعور طبيعي، ويمكن استخراج استنتاجات عدّة لعلّ أهمّها هو وجوده، داخل

جماعة النهضة ومؤيّديها لتيارين اثنين، التيّار الأول وهو معتدل يمثّله محمد علي والمفتي التميمي، وتيّار تحرّري لا يريد التقيّد كثيرا بنصوص الشرع المعرقلة للمشاريع ويمثّله ابراهيم باشا والشيخ المغربي التميمي وصاحباه.

3) محنة الشيخ المغربي التميمي

لقد نفاه عباس الأوّل لما تقدّم ذكره وخصوصا لما يمثّله المغربي التميمي من رمز للنهضة، وقد بدأ عبّاس بعد في اتخاذ الإجراءات العديدة لتعطيل أمور التقدّم وإبطال مظاهر التمدّن ولنا شهادة يوردها أحمد تيمور حول المقابلة الأخيرة التي دارت بين شيخنا وعبّاس باشا:

«ولمّا مات... ابراهيم وتولّى (عباس) بعده، خشي (المغربي) العاقبة وذهب الى عبّاس في قصره لترضيته وإزالة ما في نفسه منه. فقال له عباس:

ــ «ليس عليك بأس ولكن لا تساكنني في بلد أنا فيه» وأمر بنفيه في الحال وأرسل من أعوانه من حمل متاعه وتولّى ترحيله الى الحجاز.. (17)

وترحيل هذا الرمز كان مقدمة لما يمكن أن نسمّيه تعطيل النهضة (La contre-renaissance).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

4) دور عبّاس الأول في تعطيل النهضة (L'esprit de réaction):

كلّنا نعرف كره عبّاس للثقافة الغربيّة ومدنيتها وربّما يرجع ذلك الى الضربات المتتالية التي وجّهها الغرب الى محمّد علي عسكريّا واقتصاديّا وسياسيّا ممّا جعل مشروع علي الحضاري ينهار فقد قام عبّاس في سنوات ملكه الأولى بطرد الفنيين الأروبيين وإغلاق آخر مصانع الدولة ومعاملها وأوقف الأشغال العامة الجارية وعرقل حتّى التعليم في المدارس فأغلق المدارس وقلّص كذلك من عدد العساكر رغم أن الحلفاء الغربيين قد فرضوا الحدّ من ذلك العدد الى 18,000 عسكري فكان عهد عبّاس الاوّل عهد تراجع وانكماش على الذات وخيبة وعهد مرارة.

يتبع

أدب المقاومة في تونس قبل الإستقلال

بقلم : علالـــة القنـوني

مقدّمـــــة :

نشأ الإنسان ونشأت معه المقاومة فمنذ فجر الحياة والإنسان تارة دافـــع وتارة مدفوع نتيجة مكاسب يريد أن يحافظ عليها أو نتيجة طموح يغريـــــه بالسيطرة والإستبداد فلم تخل أرض ولازمن من الصراع فطرة داب عليـــــها الإنسان حيّرت المفكرين وجعلتهم مختلفين في الرّأي، متناقضين في جبلة هـــذا المخلوق العجيب الذي "إن مسّه الخير منوعا وإن مسّه الشرّ جزوعا "والذي لا هـو ملاك ولا شيطان وإنما هو خير وشرّ يتنازعان فيه فلا تخلو طيلة حياته مـــن الصّراع : صراع مع نفسه وصراع مع أبناء جنسه ، ولم يكن العربي خارج هـــذا الصراع أولا بوصفه إنسانا ثم إنه إنسان قست عليه الطبيعـــة والظـــروف التاريخية فوضعته في الجزيرة العربية حيث كانت القبائل تتنازع الماء والكـلأ مورد الحياة الوحيد وحيث كان القتال على أشدّه في غزوات لا تنقطع أبـــدا : حياة بلا أمان يعيشها العربي ويده على سيفه وجواده تتحفز للنفير فطبيعـي أن يصحبها هذا الجوّ من التقاتل جوّ من التفاخر والتفاضل يحرّك الحمـــاس والخشية وطبيعي كذلك أن يتهذّب هذا التعبير بمرور الزمن فيصبح فنا ولكنـه فنّ مناضل بالدرجة الأولي ينمّي الشجاعة ويشيد بها وينبذ الجبن والتقاعـــص ويدفع الفتى إلى أن يجعل من صدره درعا يحمي القبيلة ويذود على الحمـــى لذلك كان الدفاع دفاعين : دفاعا حربيا يعتمد أسنّة الرّماح وحدّ السيوف ودفـاعا بيانيا يعتمد الشعر بالدرجة الأولى الذي كان في البداية أراجيـــــز وهي مقطوعات حماسية على وزن الرجز(مستفعلن مستفعلن) وقد اعتمد هذا الوزن

بصفة تلقائية لما فيه من تدافع وتدفقٍ يبعث في النفس الأريحية ويرمي بالفارس إلى ساحة الوغى وهكذا اشتهر كثير من العرب بالرّجز حتّى صار الراجز البارع مخيفا يرعب النفوس بالبديع من القول قبل أن يشهر السيف وهكذا بدأ أدب المقاومة عند العرب بهذا الصنف من الكلام ثم ما فتئ أن تحوّل إلى قصيد مع المهلهل بطل حرب البسوس التي دامت أربعين سنة بين بكر وتغلِب . ولا غرابة إذن أن يكون أدب المقاومة وليد الحروب فلا غرابة كذلك أن يتغيّر شكل القصيد من أرجوزة لا تعتمد إلاّ وزنا واحدا إلى قصيد يعتمد جملة من الأوزان فجّرها النضال المستمرّ وأن يؤكد المهلهل على دوام مقاومته واستماتته في أخذ الثأر وتطهير العرض بقوله :

ولست بخالع د رعي وسيفي إلى أن يخلع اللّيل النّهار

وأن ينشيد أبو تمام بالسيف في وقعة عمورية بقوله :

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حدّة الحدّ بين الجدّ واللعب

فكلنا يعرف أن الشعر كان في خدمة القبيلة في العصر الجاهلي ثم في خدمة الإسلام مع الرّسالة المحمديّة ثم في خدمة الدولة الأمويّة ومعارضيها وخدمة الدولة العباسيّة والشعوبية التي كانت تناهضها ثم بعد انقراض الدولة العربية وسيطرة الدولة العثمانية عمّ الانحطاط وغفا الفكر والأدب إلى القرن التاسع عشر بحيث تمّ الاتصال المباشر بالعالم الغربي وشعر العرب بالبون الشاسع بينهم وبين الغرب فحاولوا أن يجدوا مخرجا عن عجزهم بعد تأكدهم من الخطر المحدّق بهم ولعلنا نذكر ما قام به المصلح خير الدين باشا من محاولات لإنقاذ تونس وأفكاره الإصلاحية في كتابه « أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك » وما حققه فعلا أثناء وزارته ولكن رغم محاولاته ومحاولات كثير من المخلصين فإن الاستعمار قد حلّ بتونس إثر معاهدة باردو 1881 ولابدّ من مقاومة ستتجلى آثارها الأدبية في فنّ رائع أخاذ مرّ بأطوار قبل أن يبلغ ذروة الابداع فما هي هذه الأطوار ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

1) الأطوار التي مرّ بها الأدب التونسي قبل الاستقلال

يقسّم الدكتور جعفر ماجد الحركة الأدبية قبل الاستقلال إلى ثلاثة أطوار :

من 1904 إلى نهاية الحرب العامية الأولى ـ الطور الثاني فترة ما بين الحربين والطور الثالث من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى استقلال البلاد . أمّا الفترة التي بين 1881 و 1904 فلا أدب فيها يذكر وإنما هي فترة ركود أدبي مازال فيها الشعب يعاني أثر صدمة الإستعمار ويلملم فيها جراحه ويستعيد أنفاسه .

أ) الطور الأول : لم يكن طور خلق وإنشاء وإنما هو محاولة إصلاحية وقد عرف هذا الطور الناقد عبد العزيز المسعودي والشيخ الخضر حسين الذي كان مصلحا شاعرا وشهد كذلك مطلع القرن العشرين نشأة القصّة مع صالح السويسي القيرواني الذي كتب:« الهيفاء وسراج الليل » وفي هذه القصّة يحثّ الكاتب على الدفاع عن الدين والوطن ونشأ كذلك الشعر السياسي الذي تزعّمه محمد الشادلي خزندار .

ب) الطور الثاني : يعتبر أثرى فترة أدبية إبّان الاحتلال برز في هذا الطور سعبد أبو بكر وأبو القاسم الشابي إلى جانب مصطفى خريف . أمّا القصّة فقد نضجت فنيا مع الدوعاجي وتحوّلت من مجرّد وعظ وإرشاد إلى أثر فنّي له مقوّماته الإبداعية .

ج) الطور الثالث : برز فيه شاعران وهما الصادق مازيغ الذي كان مغرما ببودلار يحاكيه تارة ويترجم له أخرى ومحمد زيد الذي كان قويّ النفس ثائر الأحاسيس يدافع عن قضيّة شعبه بكلّ ما أوتي من قوّة لكنّ الشعر في هذه الحقبة من الزمن لم يفرض نفسه إلاّ مع منور صمادح الذي أعطى نفسا جديدا للشعر . أمّا القصّة فقد حقّقت فتحا جديدا مع محمود المسعدي صاحب السدّ وحدّث أبو هريرة قال ومولد النسيان .

هذه هي الأطوار التي يذكرها الدكتور جعفر ماجد في كتابه « فصول في الأدب والثقافة » وقد آن لي أن أتناول بعض المظاهر من النشاط الفكري قبل الإستقلال .

2) مظاهر النشاط الفكري قبل الاستقلال :

إنّ النشاط الفكري أثناء هذه الحقبة من الزمان كان ثريا إلى درجة تبعث على الإستغراب خاصّة بعد توطيد الإستعمار الفرنسي فقد أخذ المفكرون والأدباء بمختلف اتجاهاتهم الثقافية يقفون صفّا واحدا ضدّ الاحتلال ويحاربونه بالكلمة

المناضلة التي كان لها الأثر الكبير في حثّ الشعب على المقاومة وبذل الدّم في سبيل الحريّة وتطوّر هذا النشاط واتضح متفرّعا إلى ثلاثة أصعدة :

ـ نشاط صحفي وأدبي منه يطلّ الشعب على آراء المفكرين والأدباء وعلى آثارهم الفنيّة ومن الصحف الموجودة في ذلك الوقت بعد الرائد التونسي، الحاضرة، والرزنامة التونسية والتونسي والزمان والزهرة والنديم والصواب والمشير والمنصف ولسان الشعب . أمّا المجلات فقد كانت متوفرة وسنها السعادة العظمى والفجر والبدر والآداب والمنير والعرب وشمس الإسلام والمجلة الزيتونية ونشرية الجمعية الخلدونية ومجلة خير الدين والعالم الأدبي . إلاّ أنّ أهمّ المجلات التي خدمت الشعب وخدمت الأدب في نفس الوقت واستطاعت أن تستقطب المبدعين وأن تظهر مواهبهم هي مجلة العالم الأدبي لزين العابدين السنوسي التي انطلقت في أول الأمر باسم " العرب " ثمّ تغيّر بعد ذلك اسمها عندما استطاعت أن تكون لسان الأدباء المناضلين في ذلك الوقت

ومن أهمّ الكتّاب الذين كانوا ينشرون فيها : محمد الشاذلي خزندار وسعيد أبو بكر ومصطفى خريف وأبو القاسم الشابي . ويجدر بنا أن نذكّر بقيمة صاحب هذه المجلة زين العابدين السنوسي الذي لم يكن صحفيا بل كان غربال الأدب في ذلك الوقت وجامع شمل الأدباء وقد قام بنقد الأدب في كتابه « الشعر التونسي في القرن الرابع عشر »

أمّا المجلة الأخرى التي كانت لها قيمتها الأدبية والنضالية فهي مجلة محمد البشروش « المباحث » التي صدرت قبل الحرب العالمية الثانية ثم انقطعت أثناء الحرب وعادت إلى الوجود وتواصلت حتى سنة 1947 وقد تولى محمود المسعدي تسييرها فكانت لسانا لمجموعة من التونسيين المتخرّجين من كليات فرنسية ، اجتمعوا حول هذه المجلة ليعطوا وجهة أخرى نتيجة اطلاعهم على الثقافة الأجنبية بحكم إزدواج لغتهم وبحكم إيمانهم بالإطلاع والتفتح والأخذ بأسباب و التقدّم الرّقي. في هذه المجلة كتب محمود المسعدي فصلا عن أبي العتاهية قال فيه :« الأدب مأساة أو لا يكون ... مأساة الإنسان يتردّد بين الألوهية والحيوانية وتزف به في أودية الوجود وعواصف آلام العجز أمام القضاء ، أمام الموت ، أمام الحياة ، أمام الغيب ، أمام الآلهة ، أمام نفسه ...» وفي نفس هذه المجلة نشر كتابه « حدّث أبو هريرة قال ...» وقد كان لهذا الأديب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تأثير كبير على الكتاب الذين ظهروا بعده بل ومازال تأثيره متواصلا إلى الآن فضلا عن كونه أديبا معروفا في كامل الأقطار العربية ولا أطيل الحديث عن المسعدي فهو غنيّ عن التعريف ولكن أذكّر بأنّ المجلة التي ستلعب دورا كبيرا بعد مجلة المباحث هي مجلة " الفكر : التي تواصلت ثلاثين سنة تقريبا هذه المجلة كان لها فضل إبراز كل الأدباء الذين عرفوا بعد الاستقلال وقد أسسها محمد المزالي وأشرف على رئاسة تحريرها البشير بن سلامة وكان لها سيط في كامل الأقطار العربية .

ـ النشاط الحزبي : في فترة ما قبل الاستقلال تأسس الحزب الدستوري التونسي سنة 1920 برئاسة الثعالبي ويبدو أن هذا الحزب كان يكتفي بالتنديد والاحتجاج ضدّ الاستعمار دون أن يقحم عامة الشعب في المقاومة ممّا جعل جماعة من الشباب في ذلك الحين ينخرطون فيه ويثورون عليه فيتأسس الحزب الجديد مع مؤتمر قصر هلال سنة 1934 ومنذ ذلك الوقت ربط الحزب الجديد الصلة بالجماهير العريضة وقام بالاتصال المباشر لتوعية الشعب وتحريضه على الكفاح ممّا أثار غضب المستعمرين فزجوا بالزعماء في السجون في محاولة لإبعادهم عن القاعدة الشعبية إلاّ أنّ هذا الأمر لم يجد المستعمر نفعا فقد تجنّد التونسيون بالسلاح يقلقون راحة فرنسا بالعمليات الفدائية .

ـ النشاط النقابي : كما بدأ النشاط النقابي مع محمد علي الحامي وتكثف نشاطه خاصّة إبان الحرب العالمية الثانية وكان يشغل كاتبا عامّا للعمال التونسيين في كافة أنحاء البلاد وكان محمد عليّ قويّ العزيمة شديد النضال كثير التجوال ضيّق على الحزب القديم الخناق ودفعه إلى العمل بجديّة على إخراج المستعمرين ممّا جعل الحزب القديم يتبرأ منه وقد نسّق محمد علي بين العمال ودفعهم إلى الإضراب فشكل خطرا حقيقيا على الإستعمار ممّا جعل المقيم العام Lucieu Luit يتّهمه بالتآمر على أمن الدولة ويرسل بشأنه برقية إلى الحكومة الفرنسية يوم 3 فيفري 1925 فحكم عليه بالنفي والتشريد لمدّة 10 سنوات ولم يكن محمد علي وحده زعيما نقابيا فذّا بل خلفه الزعيم المعروف فرحات حشّاد الذي كان زلزالا حقيقيا في الكيان الإستعماري فكان أن اغتالته المنظمة الإرهابية السرية اليد الحمراء في 5 ديسنبر 1952 وبقي هذا الزعيم رمزا للإستشهاد في سبيل الوطن وبقي حيا في قلوب كافة التونسيين.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذه بعض المظاهر من الأنشطة النضالية قبل الاستقلال فإذا ما أضفنا غضب الشعب لإقامة المؤتمر الأفخارستي العالمي في قرطاج 1930 الذي أرادت فرنسا به أن تثأر لملكها الصليبي عندما أراد أن يغزو تونس ويجعلها مسيحية فمات وباء قبل تحقيق مأربه ، قلت إذا ما أضفنا هذا وما قامت به فرنسا من دعاية للمسيحية يتمثل في تعليق الصلبان في كل مكان من تونس العاصمة وفي استعراض لأكثر من ألف طفل فرنسي يحمل كلّ واحد منهم الصليب وأمامهم القساوسة والرّهبان، إذا أضفنا كل ذلك وتورّط بعض كبار المسؤولين التونسيين في هذا المؤتمر ومنهم الباي نفسه كمسؤولين على تسييره ودعمه والانفاق عليه ، لابدّ أن نفهم ثورة الشعب العارمة ضدّ التجنيس وتمسكهم بدينهم الحنيف وأصالتهم العربية وقد تجلى ذلك في معركة الجلاز سنة 1911 التي واجه فيها الشعب الجيش الفرنسي ليدفعه عن دفن المتجنسين في مقبرة اسلامية .

كل هذا يجعلنا نفهم ما قاساه شعبنا أثناء الاحتلال من فقر وظلم واضطهاد ولا يمكن أبدا لصاحب قلم وعواطف مرهفة إلاّ أن يكون مقاوما ولذلك كان الأدب في تونس قبل الاستقلال أدب نضال بكل مافي الكلمة من معني . كيف لايثور من يسمع أن معمرا فرنسيا يدعى Hilene de Manivelle في جهة سوق الإربعاء ولايتنا الحالية ، يعلّق عاملين مكتوفي الأيدي من الخلف وقد وضع على رأس كل واحد منهما كمية من عناقيد العنب بعد أن أشبعهما جلدا وتعذيبا لسبب تافه وهوأن هذين العاملين وهما خميس العمدوني وعلي الدريدي ، قد قطعا عنقود عنب من المزرعة ليأكلاه في يوم عيد إسلامي فانتقم منهما المعمّر بهذه الطريقة الوحشية وأبقاهما ساعات معلّقيْن في حرّ الهاجرة ، ولمّا انتقل العاملان إلى المستشفى أمر الطبيب ببتر يد كل واحد منهما نتيجة شدّ الوثاق العنيف ، وكان حكم المحكمة الفرنسية على هذا الوحشي ثمانية أشهر سجنا مع تأجيل التنفيذ ثم انخفض الحكم إلى دفع غرامة مالية زهيدة القيمة تقدّم للعاملين . كلّ ذلك من شأنه أن يؤجج نار المقاومة ويدفع الشعب دفعا إلى التخلّص من الاستعمار البغيض وأن تعلو أصوات الشعراء بالقصائد المناضلة التي سأقرأ على مسامعكم نماذج منها محاولا التدرج بها من طور إلى آخر قصد تحسيسكم بالتطوّر الذي حصل في التعبير إذ بتصاعد المقاومة تتصاعد لهجة الشعراء وبمرور الزمن تزداد التجربة الشعرية نضوجا ، وسأبدأ بأبيات للشيخ الخضر حسين لأبيّن أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطور الأول لم يكن إلاّ محاولة للتذكير بالماضي المجيد للأمّة العربية الإسلامية وحمل الشعب على الأخذ بأسباب العلوم لتحقيق النهضة المنشودة، والشيخ الخضر حسين لم يكن إلاّ امتداداً للحركة التي حاولها خير الدين باشا ومحمود وقابادووتلاميذه محمد بيرم الخامس ومحمد السنوسي وسالم بوحاجب .

يقول الشيخ الخضر حسين :

أبناءَ هذا العصر هل من نهضة
تشفي غليلا حرّه يتَصَعَّد ؟
هذي الصنائع ذلّلت أدواتها
وسبيلها للعاملين ممهّد
وكذاك بذر العلم أخرج شطأه
ودَنَا جِنَاه فما لنا لا نحْصد ؟!
بهما جرى القوم الذين استَضعَفوا
من قبل شوطا في التقدّم يبْعد
أفلا نسِير مسير ذي رشْدٍ إلى
آثارما قد أسّسوه وشيّدوا
إنّ المعارف والصّنائع عدّة
بأب التّرقّي من سواها موصَد

ولا أنسي أن أذكّر بأنّ الشيخ الخضر حسين كان عالما شاعرا أصدر أول مجلة تونسية وهي « السعادة العظمى » ثم انتقل إلى مصر وأهّلته قدرته العلمية إلى أن يكون عميد كلية الأزهر.

وبعد الحرب العالمية الأولى لم يلبث أن ظهر جيل جديد نشأ معه الشعر السياسي وقد تزعّم هذا الشعر محمد الشاذلي خزندار. ومن المفارقات العجيبة أن هذا الشاعر المتفاني في حبّ الوطن هو حفيد مصطفى خزندار الذي خان تونس وتواطأ مع الاستعمار وكان سببا في هجرة كثير من التونسيين إلى بلدان أخرى كمحمد بيرم الخامس الذي استقرّ في مصر . كان محمد الشاذلي خزندار أحد مؤسّسي الحزب القديم وقد أثّر على التونسيين وألهب حماسهم حتّى أصبحوا يتغنون بشعره ويرددونه في المظاهرات حينما يعرّضون صدورهم لرصاص المستعمر ، يقول وهو يرثي شهداء سقطوا في مشادّات مع المستعمر في

قصيد ضحايا :

نبكـي لفرقتهم وهـم أحيـاء
سَبْعًا بكتهـم تونـس الخضـراء
ما كان في كفّي الحسـام وإنّما
من تحت فكّي حيّـة رقطـاء
أرسلتهـا حَصْبًا على مغتالهـم
فتريه ماذا يفعل الشعـراء
سأهزّ من قومي الذين بلَوتهـمْ
ما ترتضيه الهمّة القسعـاء
عربيّة الإحساس في نخواتهـا
للّه تلك النخوة العربـاء
لاَ تَخْلدوا فشلاً لِفَلّ عزيمـة
لو أدْلَهَمّتْ سحْبها الظلمـاء
دَعْهم يريقوا يزهقوا يستنْزِفـوا
يفنوا يبيدوا ، يفعلوا ما شَاؤوا
وأستر سلوا في الأمر دون تراجع
فالحبل منه انشقّتِ الصمّـاء

ويشيد الشاعر بهويته ويفتخر بها كتونسي عربي ويحاول أن يجمع الناس حول الحزب في ذلك الوقت فيقول :

تونسـي وحسبـي أنّنـي تـونسـي
حزبهـا الحـرّ حزبـي حزبهـا الوطنـي

ويحذّر شعبه من خطر التجنيس التي كانت تسعى له فرنسا للقضاء على الشخصية التونسية حتى تصبح تونس لقمة سائغة الابتلاع لكنّ التونسيين لم يزدهم التعذيب إلاّ إصرارا وتمسكا بأرضهم وذودا على دينهم وقوميتهم ويعبّر عن هذا الإصرار بقوله :

لست المبـدّل جنسـي كـلاّ ولا أتـردّد
إن كان يرضى الفرنسي فليس يرضى محمـد

وفي قصيد " نداء " يصرخ صرخة الجريح داعيا التونسيين إلى الاعتزاز

بعروبتهم فيقول :

يا أهـــل تونس إنـــا سلالـــة الفاتحيـــنا
كانوا الرّعـــاة وكنـــاً في ما مضى الحاكمـــين
ممّا التحجب منّـــا إذ للنضـال دعينـــا

ويسخر محمد الشادلي خزندار سخرية واضحة يتبيّن فيها كذب الغـــزاة في ادعائهم بأنهم جاؤوا ليحرّروا الناس ويخرجوهم من التأخر إلى التقـــدّم والتمدّن ـ يقول الشاعر :

كلّ يكذب فـي يمينـه والمعمّـر لا يمـــين
ربّ الكرم ابن الكـــرا مِ وأمره كافٌ وَنـــونْ
ولـــه رغم البـــراء ة في اختلاسهما يقـــين
وله النّصر فكيفمـــا شاءت إرادته يكـــون
هذي دروس قد رَوَيْـــ ناها على المتمدّنـــين
نِعْمَ الأساتذة الفطـــ حِل والمدارس والفنـــون
تملَى فتمتلىء المحَـــا جِر والمدامع والجفـــون
سَلْنا فنحن شروحهـــا سَلْنا فنحـــن متـــون
قالوا: أيا دينا عليكـــم ممّا أنتم ساخطـــون؟
فأشَارت الأيدي التّـــي شلتْ بكفّ المحسنـــين
كانت ولا تثريب أفصـ حَ من لسان الناطقـــين

بهذه الكلمات الغاضبة الناقمة المتفجرة كان محمد الشادلي خزندار يقـــاوم الاستعمار وبنفس الكلام أيضا قاوم سعيد أبو بكر الذي برز بين الحربـــين العالميتين .

يتبع

في الاعداد القادمة : [همسة]

ـ والعود في ارضه نوع من الحطب .....منذر النجار
ـ ثورة النفس .....احمد محمد القطناسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنيـة القصيـد
المدحي في شعر المتنبّي و التغيير
الذي أدخله عليها ؟

بقلم : الحاج عبد المجيد بن عمر

من المستحسن أن نعرّف معنى المدح وهو ما نستخلصه من قوله :

إنّمَا هَيْبَـــةُ المؤَمـــلِ سَيْـــفِ الـــ دَوْلَةِ المَلْكِ فِي القلـــوبِ حسَـــام

تعريف المدح = مَ ـ دَ ـ حَ : مَدَحَ يَمدَح مَدحًا أي أحسن الثهنـــاء عليـــه . وهو إبداء الإعجاب بالمدوح والإشادة بخصاله والتّنويه بفضائله النّفسيـــة كما قال « قدامى» ، والتّمجيد بفضائله الجسمية كما قال « الآمدي » وذلـك في أبيات شعرية ضمن قصيدة يقرض الشاعر بها شخصا أو أشخاصا أحيـاء، بحـــق أو باطل.

والمدح أكثر فنون الشعر تداولا بين الشعراء وأثرى الأغراض الشعريـــة وقد كان في بدايته بعيدا عن الأغراض الماديّة فكان خاليا من التكلّف والمغالاة كما قال ابن رشيق « إنّ المدح في عهد الجاهلية كان عفويا وبسيطا » وكـــأنّ شعراء ذلك العصر ابتدعوه لإبداء الشكر على صنع جميل أو على إســـــداء معروف ، إلاّ أنّه تحول إلى أداة للتكسب والاستجداء على يد النّابغة الذّبياني الذي مدح النّعمان بن المنذر فأجزل له العطاء . والمدح شديد الصلة بالوصـف لأنّ الشاعر في مدحه يصف ممدوحه بأوصاف جميلة خلقية ونفسية وسيأتي الكـــلام على النّسيب فنرى وأنّ بنية القصيد المدحي يتركب في جوهره من مقدّمـــة أو مطلع يذكر فيه الشاعر الأطلال ويبكي على فراق الحبيب لهـــا ويتغنـــى بجمالها ثم يصف ناقته ورحلته وتنقّله وما لاقاه في طريقـــه ثمّ ينتقل إلـــى مدح الشخصيّة التّي يريد مدحها واستمرّ الشعراء فـــي سبـــك قصائدهـــم المدحية على هذا المنوال إلى عصر المتنبّي حيث أقـــدم هذا الأخير على ابتـــداع تركيبة جديدة في بنية القصيد كما سيأتي بيانـه .

وفي العهد الأموي كان الخليفة عبد الملك بن مروان يحمل الشعراء علـــى التّجديد وابتداع أساليب مبتَكَرَة في الشعر وتغيير تركيبة القصيدة بمـــا

يخالف أسلوب القدامى : قيل أن شاعرا أنشده مدحا وأطال في وصف ناقته فقال له « ما مدحتَ إلاّ ناقتك فخذ منها الثّواب » .

وأنشده آخر مدحا خلطه بالفخر بنفسه فقال له « ما مدحت إلاّ نفسك ».

وأجمع الدارسون لشعر المتنبّي أنّ قصائده المدحية بلغ عدد أبياتها 3288 بيتا أي أنّها حازت ثلثي شعره الذي يعدّ كله 5300 بيت وكان نصيب الأغراض الأخرى كالرّثاء والفخر ـ والنّسيب ـ والهجاء ـ والحكم والأمثال أقلّ من المدح

وكان المتنبّي متأثّرا بما حفظه من شعر القدامى فنراه ما يزال ينسج على منوالهم في نظم الشّعر ويظهر ذلك في اقتفائه لآثارهم في صباه وخطواته الأولى فيأتي قصيده المدحي معتمدا في بنيته وتركيبته على البكاء على الأطلال ثمّ النّسيب فوصْف النّاقة المركوبة ووصف الرّحلة ومخاطر وأهوال السّفر ، وهذه الأغراض تتصدّر القصيدة .

ذكر الديّار في مطلع قصائد المتنبّي المدحيّة :

قال في مدح سيف الدولة وقد أمر له بفرس وجارية مفتتحا قصيدته بذكر الرّبْع والدّيار

أيَدْرِي الرّبْع أيّ دَمٍ أرَاقَا ... وَأيّ قلوب هَذَا الرّكْب شَاقَا

لَنَا وَلِأَهْلِهِ أبَدًا قلوب ... تَلاَقَى جسومُ مَا تَلاَقَى

وَمَا عفت الرّيَاح لَه مَحَلاً ... عَفَاه مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا

وذكر الديار في مطلع قصيد يصف فيه عزم سيف الدّولة على لقاء الروم في السّنبوس سنة 340هـ ويعني بالدّيار ديار لا ديار الحبيب

نزور ديارا ما نحبّ لهَا مغني ... ونسأل فيها غير ساكنها الإذْنَا

أمّا قصيده الذي مدح به سيف الدولة لمّا انتصر على قبائل تمرّدت عليه سنة 321 هـ افتتحه بذكر مراتع الآرام أي ديار الحبيبة .

ذِكْر الصّبَى وَمَرَاتِع الآرامِ ... جَلَبَتْ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي

دِمَنٌ تَكَاثَرَتِ الهموم عَلَيّ فِي ... عَرَصَاتِهَا كَتَكَاثُرِ اللّوّامِ

وقال في مطلع قصيد يحتوي على إثنين وإربعين بيتا يمدح القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد اللّه بن الحسين الأنطاكي :

لَكِ يَا مَنَازل فِي القلوبِ مَنَازِل ... أقْفرْتِ أنْتِ وهنّ مِنْكِ أوَاهِلِ

يَعلَمْنَ ذَاكَ وَمَـــا عَلِمْتِ وَإِنَّمَـــا أَوْلاَكمَا يَبْكِي عَلَيْهِ العَاقِـــلِ

ويقول :

تَخْلو الدِّيَار مِنَ الظِّبَـاءِ وعِنْـــدَه مِنْ كلِّ تَابِعَةٍ خَيَـــالٌ خَـــاذِلِ

ومن قصيد في مدح سيف الدولة ويذكر بناء مرعش سنة 341هـ ويشتمل على خمس وأربعين بيتا وفي مطلعه يناجي الديار قال :

فَدَيْنَاكَ مِنْ رَبعٍ وَإِنْ زِدْتَنَا كَـــرَبَا فَإِنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَمْسِ والغَرْبَا

وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدَعْ لَنَـــا فؤَادًا لِعِرْفَانِ الرَّسومِ وَلاَلَـــبَّا

ومن قصيد في مدح المغيث بن علي بن بشر العجلي (ويشتمل على تسع وثلاثين بيتا) قال في مطلعه يبكي أطلال الأحبّة :

دَمْعٌ جَرَى فَقَضَى فِي الرَّبْعِ مَا وَجَبَـا لِأَهْلِهِ وَشَفَى أَنَّـــى وَلاَ كَـــرَبَا

عجْنَا فَأَذْهَبَ مَا أَبْقَى الفِرَاق لَنَـــا مِنَ العقول وَمَا رَدَّ الَّذِي ذَهَبَـــا

سَقَيْته عَبَرَاتٍ ظَنَّهَا مَطَـــرَا سَوَائِلاً مِنْ جفونٍ ظَنَّهَا سحبـــا

دَار الملِمُّ لَهَا طَيْفٌ تَهَدَّدَنِـــي لَيلاً فَمَا صَدَقت عَيْنِي ولاَ كَذَبَـــا

ومدح عبد اللّه بن يحي البحتري بقصيد يحتوي على ستّة عشر بيتا بدأه بالبكاء على الدّيار قال :

بَكِيت يَا رَبْع حَتَّى كِدْت أَبْكِيكَـــا وَجدْت بِي وَبِدَمْعِي فِي مَغَانِيـــكَا

فَعِمْ صَبَاحًا لَقَدْ هَيَّجْتَ لِي طَرَبَـــا وَارْدُدْ تَحِيَّتَنَا إِنَّـــا محَيُّوكَـــا

التغيير في بنية القصيد في شعر المتنبّي :

ترك المتنبّي التّقليد في تركيبة قصيدته المدحية وقطع صلته بالطّـــرق القديمة فلم يعد يبكي الأطلال ولا يصف الأحباب ولا ينسب ولا يذكر النّاقـــة والإبـــل واختراع طريقة جديدة تثير الانتباه وتشوّق السّامع إلـــى مـــا يقوله فـــي قصيده .

فصار يفتتح قصائده المدحية إمّا بحكمـــة أو بسؤال استفهامـــيّ أو باستنكار أو بإعلان لرفض أو بإبْداءِ الأسى والحرقة وينسحب أسلوبه المشار إليه في بقيّة الأغراض الشعريّة كالرثاء والمدح ، وهو كما يلي :

1) افتتاح القصيد بحكمة : كقوله في مطلع قصيد يمدح به سيف الدّولة :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِـــم وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَـــارِمِ

2672

وَتَعْظم فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارهـــــا وَتَصْغر فِي عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائِـــم

ـ وكقوله في مطلع قصيد في مدح سيف الدّولة :

الرَّأي قَبلَ شَجَاعَـــةِ الشَّجْعَـــــانِ هوَ أوَّلٌ وَهْيَ المَحَلّ الثَّانِـــــــي

فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْـــسٍ حـــرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ العَلْيَاءِ كلَّ مَكَـــــانِ

2) افتتاح القصيد بسؤال استفهامي : كقوله من قصيد في مدح سيف الدّولة :

أيْنَ أزْمَعْـــتَ أيَّ هَذَا الهمَـــــام نَحْن نَبْت الرَّبَى وَأنْتَ الغمَـــــام

3) الاستنكار وإعلان الرّفض : كمطلع هذا القصيد في مدح أبى الحسين علي بن المرّي الخراسا ني :

لاَ افْتِخَارٌ إلاَّ لِمَـــنْ لاَ يضَـــام مدْرِكٍ أوْ محَارِبٍ لاَ يَنَـــام

لَيْسَ عَزْمًا مَا مَرَّضَ المَرْء فِيـــه لَيْسَ هَمًّامَا عَاقَ عَنْه الظَّـــلاَم

ويستنكر ويرفض عيش الذلّ فيقول :

ذَلَّ مَنْ يَغْبِط الذَّلِيلَ بِعَيْـــش ربَّ عَيْشٍ أخَفُّ مِنْه الحِمَـــام

كلّ حِلْمٍ أتَى بِغَيْـــرِ اقْتِـــدَارٍ حجَّةٌ لاَجِيءٌ إِلَيْهَا اللِّئَـــام

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَان عَلَيْـــه مَا لِجَـــرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيـــلاَم

وقال في مطلع قصيد آخر :

أيَدْرِي مَا أرَابَكَ مَنْ يرِيـــب وَهَلْ تَرْقَى إِلَى الفَلَكِ الخطـــوب

4) افتتاح القصيد بإبداء الأسى والحرقة : قال في مطلع قصيد يعزّي فيه سيف الدولة بموت أحد رجالاته :

لاَيحْزِنِ اللّه الأمِيرَ فَإِنَّنِـــي لآخذ مِنْ حَالاَتِه بِنَصِيـــبِ

وَمَنْ سَرَّ أهْلَ الأرْضِ ثمَّ بَكَى أسًى بَكَى بِعيونٍ سَرَّهَا وقلـــوبِ

ـ وكان مطلع قصيد (التّظلّم) الّذي أنشده أمام سيف الدولة قوله :

وَاحَرَّ قَلْبَاه مِمَّنْ قَلْبه شَبِـــم وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَه سَقَـــم

ـ وافتتح قصيده في مدح كافور بقوله :

أغَالِب فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْق أغْلَب وَأعْجَب مِنْ ذَا الهَجْرِ والوَصْل أعْجَـــب

وتوفيّ أبو شجاع فاتك بمصر فرثاه بقصيد افتتحه بإظهار الحزن والتفجّع فقال وهو يتحسّر عليه :

الحزْن يقْلِق وَالتَّجَمّل يَـــرْدَع وَالدَّمْع بَيْنَهمَا عَصِيٌّ طَيِّـــع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يَتَنَازَعَانِ دموعَ عَيْـــنٍ مسَهَّـــــدٍ هَذَا يَجِـــــيء بِهَا وَهَذَا يَرْجَـــــع

ـ ومن قصيد آخر رثاه به افتتحه بسؤال استفهاميّ واستنكاريّ في آن واحـــد مع ظهور مسحة الأسف والقلق وغلبة معنى الاستبطاء :

حَتَّامَ نَحْن نسَارِي النَّجْمَ فِي الظَّلَـمِ وَمَا سرَاه عَلَى خفٍّ وَلاَ قَـــــــدَمِ

وَلاَ يحِسّ بِأَجْفَانٍ يحِسّ بِهَـــــا فَقْدَ الرّقَادِ غَرِيبٌ بَاتَ لَمْ يَنَـــــمِ

5) افتتاح القصيد في الهجاء بمعنى التّحقير مع الاستفهام :

ـ قال يهجو كافورا وكان مطلع القصيد قد بدأه بالاستفهام بِمَنْ المفيـــــدة للتّبعيـض وخرّج الاستفهام عن معناه الأصلي إلى معنى التحقير مع إضافـــة كلمـــة أيّ التي ألحق بها تاء التّأنيث وهي تتقدّم لمعنى التّفسير فقال :

مِنْ أيَّةِ الطُّرْقِ يَأْتِي مِثْلكَ الكَـــرَمَ أيْنَ المَحَاجِمِ يَا كَافور وَالجَلَـــــم

الخلاصة :

أنّه يمكن إجمالا القول كما سنراه لاحقا بأنّ المتنبّي قد أحدث جديدا فـــــي تطوير هيكلية القصيدة . فبعد أن شدّد في قصائده الأولى على الاستهـــلال بالوقوف على الأطلال عمد شيئا فشيئا إلى التخلّص من هذا المدخل والولـــوج مباشرة أو بالاعتماد على الحكمة إلى الغرض الرّئيسي ويكون بذلك قد فتـــح الباب واسعًا أمام حركة التجديد على يد اللاحقين من الشّعراء مـــن مثـــال المعرّي وبشّار بن برد وأبي نواس الّذين حطّموا الهيكل القديم للقصيـــدة وأسّسوا الهيكل الجديد لها (1). وأنه بالإمكان اعتماد تصنيف تاريخي لتطـور القصيدة المدحية عند المتنبّي يساير حياته ومراحلها .

1) طور الصّبا والشّباب : لمّا كان المتنبّي في البداية مغمـــورا يقرض الشعـر وليس لشعره صدًى يذكر في غمرة محيط عربي يعجّ بالشعـراء عامّة وبالمدّاحين خاصّة ، في هذا الطور سيسلك المتنبّي مسلكا مرتجلا يقـــول فيه مدحًا عارضا في أشخاص عرضيين قد لا تتناسب أغراض المدح مـــع صفاتـهم، وغايته من ذلك التكسّب وشقّ الطّريق إلى الشّهرة للتّعريـــف بنفسه ، ويكاد يتّفق أغلب النقّاد على ضعف مدحياته في هذا الطّور .

2) طور بداية الشّهرة :عند بداية اتّصاله ببدر بن عمار وبعض أمراء بغداد والشّام، فقد خالط مدحياته في هذا الطّور التنـــازع بين غاية التّكسّـب (وما خلا مدح منه)وغاية الشهرة والرئاسة فطبعت مدحياته بتمازج عجيـــب

مع الفخر والتّحدّي ، فلم تَخْل متانة وروعة ، وبـــدأت تتـــأسّس لديـــه ملامح الممدوح المناسب لشعره ولشخصه .

3) الطّور الثالث : وكان لصيق مصاحبته لسيف الدّولة وفيـــه عصارة تطوّر شعر المتنبّي وزبدة نضجه ، فقد تشكّلت فيه العلامات الفارقة في الممدوح ليكون سيف الدّولة جماعها وخلاصتها . وفيه يصدح المتنبّي بما يخالج صدره من ثورة وتوق إلى الرّئاسة وطموح في المجد وينهي صياغـــة مشروعه الثائر بالدّعوة إلى استعادة المجد العربي وإحياء القيم العربيـــة ، فكان المدح ... (مدح سيف الدولة) وسيلة لتحقيق ذلك . وهكذا تخـــلّص شعره ـ المدحي ـ كما تجمع على ذلك أغلب الآراء من الطّابع التكسّبي ليرتفع المتنبّي عن زمرة المدّاحين فيتميّز ـ كعادته ـ وينفرد بمدح نبيل الغايـــة سامي الأهداف .

وما يمكن ملاحظته في النهاية أنّ هذا التّصنيف لا يستطيـــع أن يطمس مَا سَايَر هذه الأطوار من تداخل يكسّر الخطّية التّاريخية وتخلق حـــالات الانكفاء والارتداد من السّمو في المدح إلى التّكسّب والارتزاق عن طريقـــه ، نلمس ذلك عند اتّصال المتنبّي بكافور الاخشيدي واضطراره إلى مدحه لعلـه يسند له إمارة أو ولاية في مصر ، وهي فترة ندم عليها المتنبّي وجعلتـــه يخرج عن جادّته فيهجو كافوراً بأقذع الهجاء وأبشع التّقبيح وينعته بأسوء النّعوت .

---

1) ينتقد أبو نواس وقوف الشاعر على الأطلال ويفضّل عليه الوقوف بخمارة البلـد فيقول :

عَاجَ الشَّقِيّ عَلَى رَسْمٍ يسَائلـــه ... وَعجْت أسْأل عَنْ خَمَّارَة البَلَـــد
يَبْكِي عَلَى طَلَلِ المَاضِينَ مِنْ أسَـــدٍ ... لاَ دَرّ دَرّكَ قلْ لِي مَنْ بَنَو أسَـــدِ ؟

ويقول :

لاَ جَفّ دَمْع الّذِي عَلَى حَجَـــــرٍ ... وَلاَ صَفا قَلْب مَنْ يَصْبو إلَى وَتَـــدِ

2675

ملاحظات حول كتابة المسرحية الشعرية في الوطن العربي

بقلم: الأزهـر النفـطي

(إن دلالة النصـوص نوعـان حقيقية واضافيـة، فالحقيقيـة تابعـة لقصد المتكلم وإرادته وهـذه الدلالـة لا تختلف، والإضافية تـابعة لفهم السـامع وادراكه وجـودة فكره وقريحتـه وصفاء ذهنه ومعرفتـه بالأوصاف ومـراتبها وهذه الدلالـة تختلف بسب تباين فهم السامعين لذلك): «ابن قيم الجوزية».

من الناحية المنهجية حددنا محاور هذه الملاحظات في أربع نقاط رئيسية مشفوعة بملاحظات عامة:

أ) ظهور كتابة المسرحية الشعرية في الوطن العربي.

ب) مشاهير كتاب المسرحية الشعرية وأبرز أعمالهم.

ج) اثر التحولات المجتمعية العربية في كتابة المسرحية الشعرية.

د) زلزال في تل أبيب نموذجا.

يقول الدكتور «جابر عصفور» في قراءة نقدية لاطروحات الدكتور «عبد المحسن طه بدر» في كتابه «التطور والتجديد في الشعر المصري الحديث»: «ولقد انصرف البحث عن الخصوصيـة الابداعية في صفحات أطـروحة «عبد المحسن بدر» في شكل نغمـة بحثية من نغمات البحث عن الهويـة، نغمة تتحـرك موازيـة لحركة التطـور والتجديـد وتكشف عن نفسها في علاقـات يؤكدها ارتبـاط الابداع الشعري بمسيرة الوعي القـومي وخصوصيته عبر محطـات تطور التجـديـد للافـادة من مـوروث الغرب الاوروبي بما لا يتنـاقض مع خصوصية الهويـة والوجدان الفردي هو اللازمـة التي لا تنفصل عن الوجدان الجماعي» عن الفكر العربي المعاصر العدد 96 – 97 ص154 – 1992ـ

على هذا الأساس، أنا لا أزعم بكتابة هذه الملاحظات تقديم بحث أكاديمي معمق بل

أردت من خـلالها أن أسكب قطرات من الضـوء على كتابـة المسرحية الشعـرية في الـوطن العربي واقتفـاء أثر نصـوص شعريـة كُتبت مزاوجـة بين الفن والفرجـة في ظفيرة واحدة متجانسة كي أطرح جملة من الأسئلة المشروعة تضع قارىء أو مشاهد هذا الأثر الابداعي الذي يُعد بحق حدثا فنيا وإضافة مشروعـة إلى مدوّنة الشعر العربي في إطار تجربة كتابة حديثة.

– فمتى بدأت كتابة المسرحية الشعرية في الوطن العربي؟

– أين تكمن لـذّة النص لـدى معـاشرة القـارىء أو المشاهـد لعنـاصر الفصـول التكوينية الواردة في كتابة المسرحية الشعرية.

– هل في القـراءة؟ أ في الفرجـة عنـدما يتحـول النص الشعـري المكتوب بصيغـة مخصـوصـة لتحقيق مـواصفات مسرحيـة معينـة على الـركح إلى عمل درامي فـرجـوي استعراضي غنائي؟

– ماذا أضـافت كتابة المسرحية الشعـرية إلى بنية ودلالة النص الشعـري العربي الحديث؟

– هل كُتبتْ المسرحية الشعرية لِتقرأ أم لتُمثلَ على خشبة المسرح؟

– لمن كتبت المسرحية الشعرية باعتبار الفن قِمّة المسؤولية الاجتماعية؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظهور كتابة المسرحية الشعرية في الوطن العربي:

(إنني أعشق فأقتنص وأقدم ذلك لأحـدهم «روني شار» عن كتاب «أحفـاد الفجر ص68».

فبعـد مقامـات الحريري ومقـامات بـديع الزمـان الهمذاني ومـا تميزت بـه من خصـائص تراثيـة وقيم جمالية وفنيـة مدهشـة على مستـوى الكتابـة بما توفـر لها من مضامين تنبع من الحيـاة الحية وتتسم بـإمكانيات أدبيـة وأخلاقية مثيرة قـوامها الحوار والحركـة والحضور المكثف ومصـادرها تفـاصيل الحياة اليـومية من خـلال مغامـرات «الحارث ابن همام» و«أبي الفتح الاسكنـدري»، وبعـد كتاب «حـديث عيسى بن هشـام» لمحمد المويلحي «وليـالي صطيح» لحافظ ابراهيـم و«أعمال من نحا نحوهما مـن المبدعين والكتاب العرب قُدامى ومُحدثين. أحس حملة القلم في الـوطن العربي وبفقر المكتبة العربية لروافد هذا الأثر الابداعي القائم أسـاساً على الكلمة الشعرية وعلى الحركة والحوار والفعل المستمر المتغير وعلى المزاوجـة بين الفن والفرجة، فشعـروا بحتمية البحث خارج خـارطة الوطن العربي عن هـذا العمل الابداعي وافادة مدونة الشعر العـربي بخصائصه الجمالية والفنية فتفتّحوا على العالم الغـربي وسافروا إلى أرجائه والتحقوا بمشاهير كُتّـابه ودرسوا

بمؤسساته العلمية والتربوية والفنية على أبرز أساتذته وشاهدوا بمسارحه أشهر الأعمال الدرامية الخالدة التي تزخر بها المكتبات الغربية، ثم رجعوا بزادهم المعرفي إلى المشرق العربي حيث كتبوا المسرحية الشعرية فظهرت أعمالهم على الركح قائمة على استثمار التراث في مضامينها بغية امداده بالأبعاد التي تنقصه لإثراء قوالبه الجاهزة بمعان معاصرة طيعة تقبل السفر إلى الماضي كما تقبله إلى المستقبل وبالتالي عمل الشعراء العرب مباشرة بعد عودتهم إلى المشرق العربي وافادتهم من موروث الغرب الاوروبي على إغناء النص الشعري العربي بالحركة الحواريّة الخلاقة الوَلود وبمواقف مشهدية وبشخوص تراثية تشعّ بالحيوية وبالشحنة الايحائية والدلالية، وهذا الاستثمار الوظيفي للتراث تكامل على خشبة المسرح مع لغة أنيقة تميزت بايقاعاتها الموسيقية واللفظية المعبرة عن حبكة النصوص والمقاطع واللوازم الشعرية الواردة في حوار ومواقف الرموز المسرحية بإلقاء ذات مذاق ملحمي غنائي شفيف غذته ايقاعات تفعيلات البحور الخليلية كالخفيف والبسيط والوافر والمتقارب والرملي والكامل والهزجي والرزجي مما ضمن نفاذ نص المسرحية وبعبارة أخرى نفذ النص الشعري المسحري إلى قيعان كينونة المشاهد عبر أدق خصائصه الفردية كما تناغم مع عناصر الحوار والحركة والحدث والديكور والفعل المستمر المتغير: (فالاثر الابداعي تُقاس نجاعته بمدى شَده للانتباه وتنشيط يقظة الحس) حسب عبارة الاستاذ «عبد العزيز بن عرفة» في كتابه «الابداع الشعري وتجربة التُخوم» ص32 – افريل 1988ـ

هكذا يرى الدكتور علي عشري في كتابه «خصائص الشعرية العربية ص73» ان نجاح الشاعر يقاس بمدى توفيقه في شحن الصورة بطاقة لا تنفد من الإيحاءات من ناحية لتوظيفها لخدمة السياق من ناحية ثانية، ويقترح ثلاثة عناصر أساسية لضمان نجاح المسرحية الشعرية.

أ) اختيار المواصفات التي تتناسب وتجربة الشاعر في ملامح شخصية الممثل المتحرك على خشبة المسرح.

ب) تأويل هذه الملامح تأويلاً خاصاً يلائم طبيعة تجربة الشاعر ويتماشى وذائقة الجمهور المشاهد لنص المسرحية الشعرية.

ج) إضفاء الأبعاد المعاصرة من تجربة الشاعر على ملامح النص المسرحي أو التعبير عن هذه الأبعاد من خلال مواقف الرمز المسرحي وملامحه وحركاته على الركح.

على هذا الأساس، يقول «محمود أمين العالم» في مقال نُشِر له بمجلة «المناظرة التي يديرها المفكر المغربي الدكتور «طه عبد الرحمان» افريل 1991 تحت عنوان «شعر الحداثة أو الحساسة الجديدة»: (وفي تاريخ الشعر العربي انطلاقات وإضافات بلاغية تعبيرية ودلالية عديدة لا يمكن فصلها عن التحولات الاجتماعية والسياسية والفكرية للتاريخ العربي نفسه).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هكذا شهدت المسرحية الشعرية اشراقتها في الوطن العربي مع عودة الشعراء العرب من الضفة الأخرى بزادٍ معرفي من موروث الغرب الأوروبي وانجذب نصها إلى الشعر وأوزانه وتراكيبه بل إلى روحه ومزاجه لتتميز بخصائصها الشعرية والفرجوية وبلغتها الدقيقة التي سمّاها «يحيى حقي» في كتابه «عطر الأحباب ص40» بالرباط المقدس بين الأمم العربية وأطلق عليها الدكتور «محمد زكي العشماوي» اسم «مستودع الاحساس والفكر والصورة والايقاع معاً» عن مجلة العربي العدد 411 ص65ـ

مشاهير كُتاب المسرحية الشعرية في الوطن العربي وأبرز أعمالهم:

(إن النص ليس موضعاً ولكنه عمل واستخدام وليس مجموعة من الاشارات المغلقة المحملة بمعنى يجب العثور عليه ولكنه حجم من الآثار التي لا تكفُ عن الانتقال). رولان بارب – كتاب: «L'aventure symicologique» ص13 منشورات «سوي» – بارب 1985ـ هكذا التحم الشعر العربي بأقدم روافد فن الفرجة وذلك مع مطلع الثلاثينات مع عمالقة رموز المسرح والطرب (يوسف وهبي – جورج أبيض) في تلك المرحلة واقتحم النص الشعري العربي حرم ما سمّاه الممثل المصري القدير الراحل عبد الله غيث **بالعالم السحري أو بعالم العشق العذري**، فظهرت على الركح مسرحيات أمير الشعراء «أحمد شوقي» معنونة بمصرع كيلوبترا و«علي بيك الكبير» و«قام بيز» و«مجنون ليلى» واشتهرت روائع «محمد مهدي الجواهري» بـ«زوارق العطش» و«قوافل حطين» كما سجلت «غرام يزيد» حضورها على خشبة المسرح بإمضاء كاتبها «محمود غُنيم » واشتهرت مسريحات «علي أحمد باكثير» و«نجيب سرور» و«عزيز أباضة» و«سليمان العيسى» و«صلاح عبد الصبور» بمسرحيته الشهيرة «الحلاج»... هؤلاء الشعراء أغنوا المكتبة العربية بأعمالهم التي جمعت في سياقاتها بين بديع فنّ القول وشروط فنّ الفرجة.

أما في تونس وفي مرحلة ظهور كتابة المسرحية الشعرية بالمشرق العربي فقد انحسرت جلّ الكتابات الشعرية في أنماط تعبيرية قديمة شرّعها مفهوم الصناعة في النظم على غرار ما كان يبدعه «أبو تمام» و«البحتري» و«المتنبي» «المشروع الاحيائي» وسط مرجعية هذه الأنماط التقليدية ركّز شعراؤنا كتاباتهم على إنشاء المقال المطول ونظم القصائد العصماء في مدح المقيم العام والباي والوزير الأكبر والاعيان من أصحاب الجاه والنفوذ وبعض زعماء الحركة التحريرية، ولم نعثر في الوثائق المنشورة والمخطوطة القابعة على رفوف المكتبة الوطنية وبالمركز الوطني للتوثيق على وثيقة تُثبت للباحث كتابة المسرحية الشعرية بالإيالة التونسية قبل كتابتها في المشرق العربي إلا في مرحلة متأخرة مع شعراء حركة الطليعة في الخمسينات ومنهم الشاعر المخضرم «جمال الدين حمدي» في مسرحية «علي بن غذاهم». أما في مطلع الستينات فقد وجّه شعراؤنا عنايتهم إلى كتابة

المسرحية الشعرية الموجهة للطفل وذلك في شكل أوبرات، فظهرت أعمال «الطيب الرياحي» و«مصطفى عزوز» و«جلال الدين النقاش» و«محي الدين خريف» و«سحنون مختار سحنون» و«مختار حشيشة» و«أحمد مختار الوزير» و«أحمد صنديد» و«عبد المجيد الحاج قاسم»... فوُجدت هذه الكتابة الموجهة للطفل هوىً في نفوس شعراء السبعينات والثمانينات فظهرت مسرحيات «محمد عمار شعابنية» و«محمد علي الهاني» و«أحمد مختار الهادي» و«عبد الله مالك القاسمي» و«عبد الحميد خريف» الذي كتب للكبار «الملك المقدس وعسكر الليل» كما كتب الأوبرات باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من كتابة المسرحية الشعرية.

يقول علي بن غذاهم مخاطباً الباي في مسرحية «جمال الدين حمدي» بمقطع معنون «الى سيّد شهم» منشور بديوان «سواحل مهجورة» ص88ـ

فقد جُبلت وطنيتي من قريش ... قريش التي أنجبت أحمدا فشلت يدي أن تُمدَّ لغيرك... تبت يدا من يمدّ اليدا أأحيا وطفلي قد مات جوعاً ويبصق كل على قبره «وسيدي الشهم» ينعم حتى لقد بشم الكلب في قصره محاصيل مزرعتي... انها نياشين تبدو على صدره لقد جعت... ها قد ظمئت... لزاماً.. لزاماً سأشرب من نحره.

أثر التحولات المجتمعية في كتابة المسرحية الشعرية:

(إن الابداع الحقيقي هو ذلك الحلم الذي يولد في عقل الاديب والفنان والذي لا يتجه إلى ما لا يُمكن تحقيقه حاليا فحسب وانما إلى ما نطمح اليه باستمرار من توق إلى الولادة في زمن التحولات): الكاتب الأردني الدكتور «النيفر الرزاز» عن مجلة الثقافة العربية – أكتوبر 1989ـ

على هذا الاساس، شهدت كتابة المسرحية الشعرية في الوطن العربي منذ منتصف الخمسينات نُقلة نوعية على مستوى الشكل والمضمون اذ قامت نصوصها على الفعل والحلم والتشوف واليقظة والتوقع والتفكير في الهزيمة والانتصار معا (لأن الفن والحلم والفعل دَوّالٌ ملتزمة تنبثقُ من دلالة واحدة هي التوتر الذي يعني تجربة فردية تفضي إلى تغيير جماعي يُولّدها توتر التجربة الجماعية) حسب مقولة الدكتور «مصطفى الكيلاني» في دراسته «موقع الزمن في النقد الشعري العربي المعاصر» عن مجلة الفكر العربي المعاصر العدد 98 – –99 ص93ـ

هكذا أخذت كتابة المسرحية الشعرية منعرجاً جديداً قوامه الالتزام بقضايا الامة فعبرت بصدق كتابها عن وجع الناس بتصوير أفراحهم وأتراحهم، فظهرت من جبال لبنان المسرحية الشعرية الرحبانية سنة 1955 وشكلت بظهورها قفزة نوعية في تاريخ المسرح الغنائي العربي باعتباره جزءًا لا يتجزأ من المسرحية الشعرية، وهذا المسرح

الرحباني يحوي الموسيقـى والشعر والحوار وتقنيات أخرى تمتلكها الموسيقـى وحدها أو الشعر وحده وهوقبل كل شيء مسرح هادف لا تغيب عنه الأفكار والرؤى المستقبلية، كتب مسرحياته الغنـائية الاخوان رحبان عـاصي ومنصور بأسلوب يـلائم بين الشعر والطرب والفرجـة فكتب عنهما الشاعـر والكاتب المسرحي المعروف «جـورج سعادة» بقـوله: (اذا اجتمع أفراد قـلائل موهوبون ومثقفـون ثقافة عـالية وكتبوا معا وبسرعـة فإن الاسلوب الـذي يكتبـون بـه يخرج أسلـوبـاً واحـداً أو متشـابهاً الى حـد بعيـد). فظهـرت معهما مسرحيـاتهما الغنـائية «زورق الحب». و«راجعـون» و«النهـر العظيم»، التي انتشرت على نطـاق واسع بأرجـاء الوطن العـربي بصـوت رمـز هذا المسرح الغنـائي وأداة تبليغـه الى الجماهير العريضة المطربة «فيروز» جوهرة المسرح الرحباني:

أنا يا عصفورة الشجن　　مثل عينيك بلا وطن

أحي شريـــداً غريـــباً　　لا أرض ولا ســـكن

أما في مرحلـة ما بعد نكسة 5 حوان 1967 فقـد شهدت كتابة المسرحيـة الشعرية أوج نضجها وذلك بتجـاوز كتابها مرحلـة النقل والمحاكاة والتماثل والانشـاد والتطريب والتظلل بمظلة الرواد إلى مرحلة الكتابة والاستفسار والبحث عن البديل المشروع فتأسس خطابها على حسّ وجداني تواردت عناصره التكوينية من ارهاصات النكسة ومضاعفاتها، فظهـرت على خشبة المسرح كتـابـات «خالـد الشـواف» و«فؤاد حـداد» و«أحمد سليمان الأحمد» «محمد الفيتوري» و«معدّ الجبوري» و«حسن البحيري» و«يـوسف عبد العزيز» و«محمـد العياشي» و«الميداني بن صـالح»... فـالتحم الحدث الفني في مسرحيات هـؤلاء الشعراء وغيرهم من كتاب المسرحية الشعرية بالحدث السياسي:

«وحدة النكبة التي شتتتنا...

وحدة النكسة التي أيقظتنا...

وحدة الثورة التي صهرتنا...

وحدة الأرض هالثرى جمعتنا...»

«زلزال في تل أبيب»　　ص 81ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«زلزال في تل أبيب» نموذجاً:

I – الإطار العام للمسرحية: مشاهد وأشخاص.

تتكون مسرحيـة «زلزال في تل أبيب» من ثـلاثة فصـول هي: الوحـدة – الثورة – الأرض، يُفتح كل فصل منهـا بمشهـد مستـوحـى من مخيمات الـلاجئين الفلسطينيين.

رموزها أشخاص منخرطون بمنظمات الثورة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة وخارجها.

1) المشاهـــــد:

أ) المشهد الأول: مخيم اللاجئين الفلسطينيين: خيام وأكواخ قصديرية، علب سردين وجبن فارغة ملقاة على الأرض. كلما يشاهد في المخيم يُوحي بالألم والبؤس والشقاء.

ب) المشهد الثاني: خيمة ممزقة متآكلة، ليل مظلم لا ينيره إلا ضوء مصباح بترولي، كلّما يُشاهَدُ يُوحي بالحزن والبؤس، منضدة قليلة الارتفاع تتوسط الخيمة، الجلوس يكون على الأرض.

ج) المشهد الثالث: بيت به كراسي وبعض الأسلحة والخرائط المعلقة على الجدران وعلى المكتب أوراق وملفات.

2) الاشخاص حسب توالي وتتابع المشاهد:

- حرب: شيخ فلسطيني لاجيء من عكة منذ سنة 1948ـ

- كنعان: شاب فلسطيني مسؤول في الثورة مكلف بربط الاتصال بين اللاجئين وفرق المقاومة العسكرية داخل الأرض المحتلة وخارجها.

- شهلاء الراعي: فتاة فلسطينية من كفر راعي ابنة الشيخ حرب، عضو في منظمة ثورية ومكلفة بتنظيم الفتيات والنساء.

- صابر: ممثل اللاجئين في اجتماع منظمة الثورة الفلسطنية.

- محمد. نائب عن منظمة كاف، عضو في القيادة العامة للثورة الفلسطينية.

- عيسى: نائب عن منظمة واو، عضو في القيادة العامة للثورة.

- نضال: نائب عن منظمة اليف.

- فاتك: نائب عن مظمة ر.

- سنان المزرعي: فلاح من قرية المزرعة مكلف بتنظيم الفلاحين في خلايا ثورية.

- حمدان الكرملي: عامل من جبل الكرمل مسؤول عن التنظيم الثوري للعمال في الأرض المحتلة.

- خالد اليافي: أديب وشاعر من مدينة يافا مكلف بتنظيم رجال الفكر والأدب في صفوف المقاومة داخل الأرض الأم.

- هند نزال: فتاة من مدينة حيفاء مسؤولة عن التنظيم السري للفتيات والنساء

الفسطينيات.

– الهافت: جرس يردد النشيد في آخر كل فصل.

II– المرتكزات الفنية لمسرحية زلزال في تل أبيب:

صدرت هذه المسرحية الشعرية سنة 1974 عن الدار التونسية للنشر (بإهداء إلى أرواح شهداء الثورة الفلسطينية في معركة التحرر وبناء المصير) ثم أعيد طبعها سنة 1984ـ قدم لها الدكتور «عفيف البوني» بقوله: (ونحن حين نقرأ مسرحيته الشعرية – زلزال في تل أبيب – نعيش مع الشاعر أجواء الهزيمة المرة ليس برثاء الحال وجلد الذات واستدرار الدموع ولكن بإزالة الغشاوة عما كان خافياً من أسباب أدت إلى الهزيمة، فحين نقرأ هذه المسرحية نجد أنفسنا في خضم الواقع العربي من خلال الشخوص والرموز والمواقف لأبطال نهضوا لتوّهم متمردين وعازمين على التغيير).

تنطلق أحداث فصول المسرحية بثلاثة مشاهد استوحاها الميداني بن صالح من أجواء مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، أبطالها يتقاسمون الأدوار في أداء الواجب تجاه **الوحدة والثورة والأرض.**

في هذه المسرحية كان الميداني بن صالح يحلُم في أواخر الستينات بحدوث زلزال في تل أبيب بثورة تحتضن:

«تحتضن العامل والفلاح والطبيب.

تحتضن الصانع والتاجر والأديب...

والطالب المهاجر الغريب

وتجمع البعيد بالقريب

من شعبنا الحبيب

في الوطن السليب». ص 108

لتزلزل الأرض في «تل أبيب»

وأرض «الجليل»...

ستزلزل الأرض في كل شبر

غزاة الدخيل... ص126

للمرأة وظيفة مركزية في هذه المسرحية بحضورها المتواتر بكثافة في مواضع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عديـدة من الفصول الثلاثة أين ورد ذكـرها أكثر من خمسين مرة بـالاسم العلم «شـهلاء الراعي» «هنـد نزال» أو بالصفـة مسؤولة، ثـائرة، جندية، مقـاتلة، مناضلـة، تلميذة، أم، أخت... أو بالوصف: صبية، نساء، عقل، خبرة، تجارب، زند،... أوفد سياقات الافعال:

تُحسن التطبيب والتضميد

والقتال والرماية.

فهي بحضورهـا وخطابها المشحون بـدلالات الرفض والتمـرد والثورة والغضب تشكل العناصر البـلاغية التي تقـوم بالاشتراك مع العناصر الفنيـة والزمنيـة بنحت بنية الرحم الاسومي المولـد لفصول هذه المسرحية التي تدور رسـالتها حول **الوحدة والثورة والارض:** «كنعنان» في تقديم «هند نزال» لرفاقه:

أختُنا «هند» يا أحبه من «حيفاء»

مسؤولة سرية.

من زمان،

بالثورة الشعبية

منذ كانت تلميذة، وصبية.

فهي عقل، وخبرة، وتجارب

وهي زند مع الرفاق تحارب.

قد درست بالجامعة العبرية

وأدركت عن كثب خطورة القضية

فانتظمت مؤمنة بالثورة الشعبية ص101

مفتاحي الدلالة لفهم مرتكزات مسرحية زلزال في تل أبيب:

(أأتيت.. ثم قتلتَ.. ثم ورثتَ، كي

يزداد هذا البحر ملحاً؟

وأنال أنا أخضرٌ عاما بعدَ عام فوق جذع السنديان

... أنني كسرى وفرعون وقيصر والنجاشي

والآخرون، ليكتبوا أسماءهم، بيديّ، على الواحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فكتبتُ: لاسمي الارضُ، واسمُ الارض في آلهة تشاركني مقامي).

(محمود درويش – حجر كنعاني في البحر الميت – عن جريدة الصباح – / 1992 12/22).

يمكن فهم الفعل الـذي يربط بين الدال والمدلـول عند قـراءة أو مشاهـدة فصول مسرحية «زلـزال في تل أبيب» على الركح بـاعتبارهـا مسرحية ذهنيـة تتوفـر فيها الشروط الفنية التي تـؤهلها لتُمثَل على خشبـة المسرح وذلك بالتـوقف عند قـائمة من أسماء المدن الفلسطينية وجملة من الكلمات المحورية وطائفـة من الاسئلة المركزية استحضرها المداني بن صالح من مرجعية قاموس الارض المسلوبة، ويتعلق الامر بالعناصر التالية:

الكلمات المحوريـة: لدى معـاشرتنا لفصـول مسرحية «زلزال في تـل أبيب» قمنا بإحصائية وثائقية البحث عن مفاتيح الدلالة لفهم مجاري مرتكزات هذا العمل فوقفنا عند مجموعة من أسماء المدن والمواقع:

أسـماء المـدن والمواقـع

عكة – الديـر – الناصرة – الجليل – صفورية – القـدس – نابلس – غزة – تل أبيب – يافا – صفد – زعترة – المزرعة – عرعـرة – حيفا – اللد – الرملة – اللطرون – مجدل الكروم – عجلون – جبل الكرمل – طبرية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما وقفنا في نفس السياق عند مجموعة من الكلمات المحورية:

الكلمات المحورية:

الثائر: 18 مرة	الأحرار: 10	زلازل: 7	المدافع: 6
الثورة: 51	السياسة: 4	الرشاش: 5	الاسلام: 6
الثوار: 32	الساسة: 5	البندقية: 4	السجون: 3
الأرض: 109	فلسطين: 13	اللاجئون: 7	السلاح: 7
الوحدة: 25	الحرية: 9	الشعب: 73	
الوطن: 5	السلام: 8		

وفي خط متـوازن وعلى نفس الجدول قمنـا بـرسم قـائمة من الاسئلـة المركـزيـة الـواردة على ألسنة الـرموز المسرحيـة في سياقـات الحوار تشكلت اطروحـاتها من أدوات الاستفهام التالية:

كيف – هل – أين – متى – أترى – أم ترى

محمد يسأل خالد اليافي الأديب والشاعر في الفصل الثالث من المسرحية «الارض»:

(كيف حال الفكر، والأقلام يا «خالد»

في «يافا» و«حيفا» و«عكا»

والربوع اليعربية؟؟

...

أترى الأقلام يا «خالد»

قد أضحت وفية

للجماهير الأبية؟!

أم ترى الفكرة...

والكلمة...

والجملة...

مازالت بغيّة

في الربوع اليعربية؟؟)

ص 120 – 121

تدلنا هذه المعطيات الوارد ذكرها على الجدول على مدى انسجام فصول المسرحية وعلى كيفية توارد عنـاصرها التكوينية بتشكيلها ثـلاثة قصائد مستقلة بـذاتها متكاملة في مضـامينها «الـوحدة – الثـورة – الارض»، كما تشكل هذه العنـاصر بتماسكها مـا سمّاه حازم القرطاجني» (بالجملة الكبرى):

«نحن ثرنا... نحن أصحاب القضية...

ثورة يحرسها الشعب الذي كان...

ومازال الضحية...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثورة لن يصمت المدفع والرشاش في أعقابها...

لن يعرف الاغراب في ارحابها سلماً،

إلى أن ترجع «القدس» و«حيفا»

والربوع اليعربية...» ص69

إشـارات عامـــة:

عند ظهـور كتابة المسرحيـة الشعرية في الـوطن العربي كـانت موجهة بـالاساس لشريحة مجتمعية تسمى بالنخبـة، مولعة بروائع الفن والأدب في تلك المرحلـة وقد تطورت كتابـة المسرحية الشعريـة على أيدي الشعراء الـذين مارسـوا كتابتها في صلب حسـاسية المجتمع وضمن منطلقات الصراع العـربي فاستقطبت مواضيعها الهادفـة جمهورا يطمح الى كتابة أرقى تبحث عنالتطور الواعي بالخصوصية الوطنية وبثوابت البعد القومي:

«سقراط» مات شاربا للسم...

«محمد» تحمل العذاب والألم...

لم ينحن...

في شمم لا يما صنم

وقال في إباء:

لو انزلوا الشمس من السما

والقمر المشرق بالضيا

وملّكوني الارض والفضا

لما تركت هذه القضـــية

قضية الانسان والحرية» ص123 – 124

لقـد كُتبت المسرحية الشعـريـة لتقـرأ كما كُتبت لتمثّل على الركـح اذا توفـرت لها الشروط الفنية المكونة لمواصفات النص المسرحي:

فهل ستشهد كتابة المسرحية الشعرية في الوطن العربي اشراقة بعد الأفول؟

وهل ستوظف لخدمة الابعاد المستقبلية لمطمـوحات كتابة النص المسرحي العربي المعاصر؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نظرات جديدة في تاريخ سليانة

بقلم : الحبيب الدريدي

ليس التّاريخ لسليانة ومدائنها والتّرجمة لرجالاتها وأعلامها من المباحث الجديدة المستحدثة في الإتحاف (1) ، فقد نهضت المجلّة بهذه المهمّة منذ أعدادها الأولى وأصبحت أبحاث العاطفين بالدرس على المنطقة وتاريخها تتطوّر في اتّجاه إثارة المشكليّات الحقيقيّة ووضعها علميّا دقيقا (2) .

ولعلّ الحاجة أصبحت أكيدة اليوم ـ وقد تكثّفت الدّراسات والمقالات المتّصلة بتاريخ جهة سليانة وتنوّعت ـ إلى إنجاز عملٍ نقديّ تأليفيّ فيه ضبط للمدوّنة التاريخية دقيق ونظرة في مظانّها سابرة وتوليف لفكرها ،الجوامع لطيف توسلا للخروج بجملة من الثّوابت يكون فيها للطّالب المتطلع غنية وللباحث المتزيّد بغية .

ولا يعزب عن النّاضر المتفحّص أن الكتابات التّي حاول فيها أصحابها البحث في تاريخ سليانة القديم والحديث على حدّ السواء قد كان لها شرف اقتحام مسألة بكرٍ لم تكن أقلام الكتّاب والباحثين قد وطئتها بعد (3) ،ثمّ إنّ هذه الكتابات ساهمت في كشف الظنون عن كثير من الأحداث التاريخيّة وإيضاح العلل والأسباب الدّافعة إليها، فهي التّي مهّدت السّبيل وأنارت مسالك البحث ووضعت اللّبنات الأولى لدرس تاريخ الجهة وتدوينه، فإن لم يكن لها من فضل إلا أنّها نبّهت إلى تشعّب المسألة ووفّرت بعض المادّة المعينة على مواجهتها لقد كفاها ذلك فائدة .

ولا تثريب على الباحث الأريب إن ذكّر بأنّ كلّ طريقة في البحث لا تخلو من مطعن وكلّ وجهة في الدّرس لا تسلم من مغمز ، ومن ثمّة فإنّ ما كتب في شأن سليانة وتاريخها قد اعتورته بعض الهنات التّي سنحاول الإشارة إلى بعضها إنصافا للعلم وتصحيحا لمسار البحث .

إنّه ليبدو للقارئ المتريّث أنّ التّعامل مع الأحقاب المختلفة التّي مرّت بها الجهة كان تعاملا غير تاريخيّ ، إذ توهم الكتابات المتعلقة بتاريخ سليانة بوجود قطيعة بين الفترات والمراحل التاريخيّة التّي مرّت بها الجهة وتكاد تنحصر هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكتابات في حقبتين اثنتين هما العصر الرومانيّ والعصر الحديث الذي يجمع كلّ من كتب فيه على ربط بدايته الحقيقيّة بسنة 1905 . فما كان يعوز هذه الأبحاث هو الرؤية الشّاملة والتّعامل مع المادّة التّاريخيّة تعاملا علميًا يعي أنّها مادّة مترابطة لا انقطاع فيها ولا انفصام ، ولا يتأتّى ذلك إلاّبالبحث فيما سأسمّيه الفترات المجهولة ، وهو بحث يمكن أن نستعين فيه بتاريخ تونس .

فما بين العصر الروماني والعصر الحديث أحقاب تاريخية متعدّدة لعلّ أهمها الفتح الإسلاميّ ، وهو عصر لم أجد باحثا تحدّث عنه أو أشار إليه في سياق درسه لتاريخ سليانة والحال أنّ معطيات تاريخيّة كثيرة تغري بالبحث في هذه الحقبة أوّلها أنّ أولى حملات الفتح الإسلامي قد اصطدمت بالمقاومة البيزنطية وأشهر مظاهر هذا الاصطدام واقعة سفيطلة عام 647 للميلاد وإذا علمنا أن البيزنطيين في البلاد التونسية وأنّه من الثّابت تاريخيًا أن سليانة كانت مدينة رومانيّة عريقة أفلا يصحّ عندئذ أن نسائل أنفسنا عن إمكان حدوث مواجهة مباشرة بين الفاتحين القادمين من بلاد المشرق والبيزنطيين المستقرّين بالجهة ؟

وثاني هذه المعطيات أنّ أهمّ مدينة إسلاميّة بعد الفتح وهي القيروان هي مدينة قريبة من جهة سليانة بل إنّنا نذهب إلى حدّ القول بأنّ الجهتين متجاورتان ، فتخوم سليانة وتخوم القيروان تلتقيان حول جبل السّرج ممّا يجعل العاصمة الإسلاميّة ذات تأثير أكيد في البلاد الواقعة على حدودها الشماليّة ويفتح باب البحث عن أوجه العلاقة التي كانت قائمة بين الجهتين. ثمّ إنّ الكثرة الواضحة للزّوايا التّي انتشرت في جهة سليانة قد تدفع بالباحث إلى النظر في جذور هذا الانتشار المكثّف وأصوله الأولى وأسبابه .

وعسى البحث التاريخيّ إذا ما اتّجه هذه الوجهات الثلاث أن ينتهي إلى الكشف عن أهميّة الحضور التاريخيّ لجهة سليانة في عصر الفتح الإسلاميه .

ومن العصور التي غبنها البحث التّاريخيّ العصر الصنهاجيّ ودولة بني زيري على وجه الخصوص ، ذلك أنّ الصّنهاجيين الذين انسلخوا شيئا فشيئا عن الفاطميين وأعلنوا استقلالهم وعادوا إلى السنّة بعد أن تشيّعوا زمنا قد برعوا في سياسة البلاد واستثمار ثرواتها وأصابت دولتهم حظًا من الرّخاء وظهر شيء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من البذخ عند الأعيان بالخصوص وانتشرت فنون مستظرفة جميلة وتفـــوّق الصّاغة والنحّاتون والمصوّرون في إنتاج تحف فنيّة لم يسبقهم إلـــــى مثلها غيرهم كما ازدهرت العلوم الدينيّة والرّياضية والآداب ازدهارا مـــوموقا (4) ، وهكذا فإنه يصعب أن تصيب الدّولة مثل هذا الحظّ من الرقيّ والتمدّن ثـــمّ لا تنتشر في أرجائها المدن والقرى الشّاهدة على قوّة عمرانها ورســـوخ مدنيّتها ولا يبعد أن تكون ظهرت في سليانة أو في إحدى المناطق القريبة منها قريـــة صنهاجيّة لأنّ الدّولة إذا بلغت ذاك الشّأو من المنعة والشّوكة والتّرف سيستتبع ذلك بالضّرورة نشوء المدائن التّي تشهد بمبلغ ما أدركته الدّولة من حضـــارة .

إلاّ أنّ التّاريخ يواجهنا بسكوته عن هذه المدينة الصنهاجيّة التـــــّي نشأت بسليانة زمن دولة بني زيري وهو أمر نفسّره بما ابتلي به الصّنهاجيّون سنـــة 1050 للميلاد عندما وجّه الفاطميون إلى إفريقيّة قبائل من أعراب بنـــي هلال وأباحوا لهم غزو البلاد التّابعة للصّنهاجيين ونهب خيراتها ، ومـــــن ثمّة فأنّ المدينة الصنهاجيّة بسليانة قد عفت آثارها ودرس ذكرها بسبب ما لحقها مـــن غزو الهلاليين وتخريبهم.

ولعلّ ما يرجّح لدينا وجود هذه المدينة ويجعله أمرا قريبا من اليقين دراســة النسيج العرقي لسكان جهة سليانة ، وهو نسيج متكوّن من قبائل عربية قدمت من بني هلال مثل أولاد عون وأولاد عيار ورياح ومناع ودريد وغيرهم ، ثـــمّ إذا أنعمنا النظر في كيفيّة توزّع هذه القبائل على الأراضي التي أقامت بها لـــم يداخلنا الشك في أنه مضارب هذه القبائل كانت بمثابة الطوق الـــــذي يحيط بمدينة صنهاجيّة باذخة.

وإذا رجع لدينا ـ بناء على ما قدّمنا من معطيات ـ أنّ جهة سليانة كـــان لها حضور في الفتح الإسلاميّ ثمّ في العهد الصنهاجيّ إلى حين دخول أعراب بني هلال فإنه بات من اليسير أن نتحدهث عن حضورها فـــي العصور اللاحقة ، فيكفي أن تتبع مختلف أنشطة القبائل العربيّة المستقرّة بالجهة حتـــي ندرك بغيتنا ، فقد كان لهذه القبائل نشاط اقتصادي متميّز في العهد الحفصي عندما نظّم أمراء بني حفص الفلاحة واهتموا بزراعة الحبوب فعادت إلـــــى الجهة أهميتها الإقتصادية ـ وكثير من العادات الزراعيّة التّي كانت منتشرة إلى أيام

2690

قريبة منًا هي عادات تعود إلى العهد الحفصي ـ ، كما كان لهذه القبائل نشـــاط سياسيّ خاصّة إبّان الفتنة الباشيّة بين حسين بن علي وابن أخيه علي باشا حيث ناصر أولاد عون مؤسس الدولة الحسينيّة حسين بن علي بينما تشيّع أولاد عيـّار باشا وكانت تلك الفتنة مبدأ التنافر بين القبيلتين خاصّة بعد واقعة جبـــــل وسلات. هذا فضلا عن النشّاط العلميّ والثقّافي وسنفصّل عنه بابه .

وإلى جانب الرؤية غير تاريخية وقعت الكتابات المهتمّة بتاريخ سليانة فـــي الرؤية الأحادية ، إذ أن تاريخ الجهة يكاد يقتصر على الجانبين السّياسي والإرادي ولم يمكن للحركات العلميّة والثّقافية إلاّ حظّ ضذيل من العناية والاهتمام والحـال أنّ دراسة الحركة العلميّة في مجموعة بشريّة مّا تعتبر مدخلا أساسيًا لفهـم تلك المجموعة والإلمام بعناصر تكوينها النفسي ومعرفة طريقة اجتماعها .

ليس من العسير أن نضبط مقوّمات الحركة العلميّة بسليانة خاصّة بعد الفتـح الإسلاميّ إلاّ أنّ الوثائق التّي تؤيد فرضيتنا وتثيرها يتعيين شعب هذه الحركة واتجاهات وبيان آثارها ونتائجها والتّعريف بأعلامها نادرة ممتنعة ، غيـــر أن ذلك لا يمنع من القول بأنّ منطقة دخلها الفاتحون وانتشر بها الإسلام وكـــانت متاخمة للعاصمة الإسلاميّة ستتأسّس حركتها العلميّة بلا شكّ علي حفـظ القرآن وإقرائها ثمّ على رواية الحديث ، وقد تتطوّر العناية بالقرآن فيـــها إلـى محاولة تفسيره .

ومن جهة أخرى فإنّ دخول أعراب بني هلال سيساهم في بعث نشا ط علمـــيّ مواز يتمثّل في بروز لونين من ألوان الثقافة الشعبية وهما الشّعر والقصص ، أمّا الشّعر فسيكون شعر ملاحم وغزل وتخليد للوقائع والأيّام وسيكـــون الشعراء متأثرين فيه بالسنـــّة والمنـــوال أولا وبالسيـــرة الهـــلالية ثانيا. أمّـــا القصص فسيهتـــم أساســـا بتغريبـــة بنـــي هـــلال ومآثرهم

ويمكن أن نضيف مظهرا ثالثا من مظاهر الحركة العلمية وهو كثرة الزوايـــا التي لا يمكن أن تدل إلا على نشاط علمي ثقافي ديني ولا نستبعد أن تكون هـــذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزّوايا قد ضمّت مكتبات بها مخطوطات في الأدب والفقه ومختلف التّصانيف، ولعلّ آل ابن أبي الضّياف خير من يقيم الدّليل على أنّ أهل المنطقة كانوا أهل ثقافة وعلم وفقه وإن لم يذكر التّاريخ غير ابن أبي الضّياف فالأكيد أنّ أعلاما آخرين اتّصفوا بالعلم والثقافة والفقه ولكنّهم لم يصادفوا ما صادف هو من شهرة وحظوة وارتقاء في المناصب.

* * * * * * * *

إنّ مانشر في مجلّة الإتحاف وفي غيرها عن تاريخ سليانة من أبحاث ودراسات ومقالات قد كشف الكثير من الحقائق التّاريخية التي كانت مجهولة وأذكى جذوة البحث في هذه المسألة إلاّ أنّه بدا لنا منقوصا بسبب سكوته عن بعض الأطوار التاريخية وانصرافه عن التّأريخ للحركة العلميّة ، فحاولنا في بحثنا هذا أن نثبت حضور جهة سليانة في العصور المسكوت عنها وخاصّة الفتح الإسلامي وعهد الدولة الصّنهاجية وأن نحقّق في الحركة العلميّة التّي نرجّح أن تكون بها في تلك العصور، وإن أعوزتنا الأصول والوثائق الماديّة فإنّنا استعنّا بالعقل والإجتهاد وفضّلنا الرويّة على الرّأي الفطير وقدّمنا عناء الدّرس وكدّه على بريق الخاطر العابر إذ « بلاحظ الباحث في التاريخ أنّ الحقائق التي تقدّمها الأصول التّاريخيّة لا تكفي أحيانا لتغطية كلّ مايتطلّبه موضوع بحثه . وقد تكثر الحقائق في ناحية وتنقّص أو ربّما تنعدم في ناحية أخرى، وبذلك توجد فجوات في سلسلة الحوادث ـ كما أشرنا ـ فعليه إذن أن يحاول ملءَ هذه الفجوات من طريق العقل والإجتهاد، وقد استخدم علماء المسلمين الاجتهاد في طلب العلم بأحكام الشّريعة، ووصفه الغزالي بأنّه بذل المجهود واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال، وشرح أركانه وشروطه ويستطيع الباحث أن يهتدي بمثل هذه الوسيلة فيما هو قائم بين يديه » (5).

وممّا ينبغي أن يعلمه القارئ ويجعله على ذكْرٍ أنّنا لم نَرْمِ من هذا البحث إلى تقديم الحقائق الثابتة وعرض الأجوبة الحاسمة بقدر ماحرصنا على أن يكون في ما قدّمنا طرحٌ للاستفهامات الممضّة وبسط للأسئلة العاتية حتّي يكون ما كتبنا باعثا على التّفكير وحافزا لعزائم الباحثين .

البقية على الصفحة :(83)

الفن دون حدود :

ومضة عن الفن التشكيلي في الصين

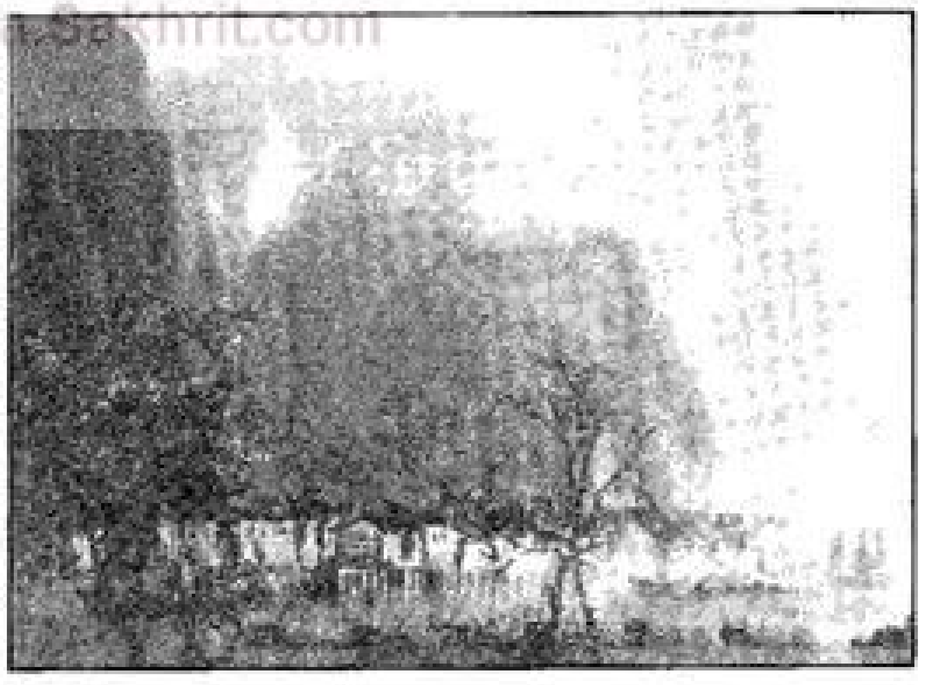
☆ ☆ ☆

مسعودة أبو بكر

المشرق بسحره وتجلّيات روعته له صورة جمالية عجائبية في الصين خرافية أحيانا، الشجر هناك ولا أشجار العالم، لون الزهور وأشكالها، مجاري المياه والجسور والحدائق، عالم بديع الحسن، كلّ ذلك جعل للذوق ا لفني في مستوى الإبداع بالصين ـ لوناخاصا وميزة متفرّدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



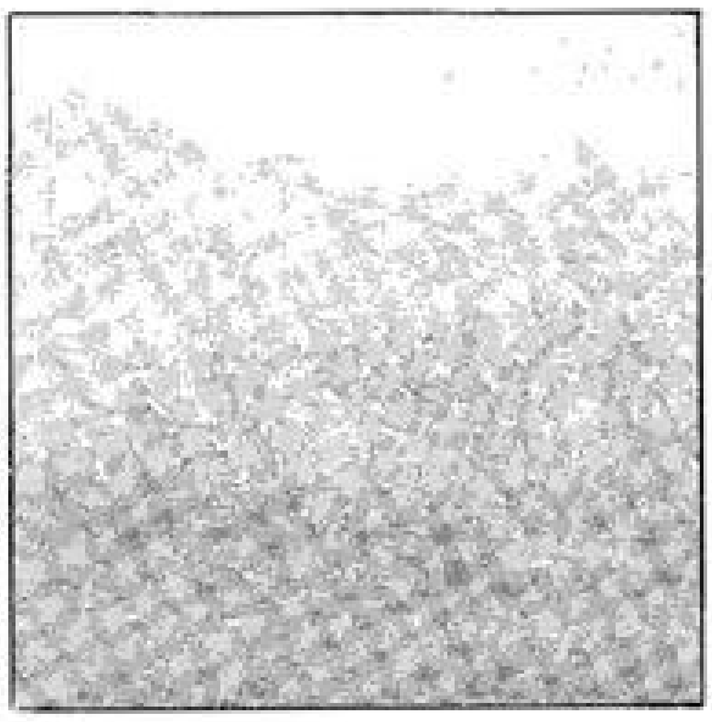


الطبيعة هي المهيمنة بجلّ الرسومات الكلاسيكية بالخصوص، يتبارى الفنانون في نقل خلجاتها حتّى يكاد المتلقّي أحيانا يشمّ عطر زهرة، أو يلمس جناح طير يرفّ عبر الفضاء، أو يقشعرّ مرتجفا أمام لوحة تصوّر قمما جليدية يغمرها الضّباب

إنّ رهافة الحسّ ،وسموّ الذّوق، وقمّةالإقتدار لـــــــدى الفنان الصّيني، جعلته يفرد مكانة متميّزة عبر الخلق الفني العالمـــي .







ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـــ حتّى . . متى ؟ ـــ

شعـــر : عمر العبيدي

خفّف عذاب البنت أضناهـــا النـــوى
يا سيد الأحزان ! يـــا ترب النّـــدى
" حتـام هذا الوجد يبري أضلعـــا " *
في حبّكم من شوقها ضاعت ســـدى
النبع ، والطير المغنّي عندكـــــم
وهي التي في بيدكم تلقى الـــردّى
للنـــاس أفراح المحار :وردكـــــم ،
يا حظّها حظّ السبايـــا والعـــدى
خفّف على القلب المعنّى حملـــــه
ما دام تاب حين جئتم واهتـــــدى
حتى ـ متى ؟ تلهو بـــــــه
ما ذنبه ؟ أغواه دربـــــــك.
خفّف عليه الوطء يامِلك الرؤى
أنت المليك وهوَ عبـــــدك

* * * *

لو مرّة منك دنـــا
لأنســاب حبرا فوق حرفك ..
ما الشعر فيه ؟وأنت قلبه
ما الزهر عنده ؟ لو غاب قطرك
خفّف عليه الهجر ،
أبكـــاه الهوى
وارفق به ، يهديك ربّك ..



---

* البيت لشاعر بالتصرف

13 أوت 1993

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صاحب الجبين الأسْمَر

شعر: أميرة الرويقي الجبابلي

للّـــه دَرّكَ ...
يَاَ صَاحِبَ الجَبِينِ الأسْمَرْ ،
جِئتَنِي فِي الصَّـــبَاح
شَمْـــسًا ...
جَئْـتَنِي فِي المَسَـــاء
هَمْسًـــا .
وَجِئْتَنِي فِي الدّجَـــى
أحْلَـــى قَمَـــرْ
للّه دَرّكَ ...
يَاَ صَاحِبَ الجَبِينِ الأسْمَـــرْ
أنْتَ فِي الصَّحرَاء
نَخَـــلٌ ...
وَوَاحات مسْك
وَحقـــولَ عَنْبَرْ
وَأنْتَ فِي شِتَـــائِي
دِفـــيء
بَدَّدَ بَرْدَ السَّفَـــرْ.
وَأنْتَ فِي الظَّلْمَـــاءِ
نـــور ..
جَـــاءَ نَجْمًـــا واسْتَقَـــرْ .
وَأنْتَ فِي الضَّوْضَـــاءِ
هـــدوء ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جـــاءَ سِحْرًا وانتَثَـــرْ .
وَأَنْتَ فِي الوِجْـــدَانِ ..
عِشْـــقٌ
جَـــاءَ نَـــارًا تَسْتَعِـــرْ .
وَأَنْتَ فِي الغرْبَةِ ...
شَـــوْقٌ ..
جَـــاءَ قَهْـــرًا وانْتَظَـــرْ .
وَأَنْتَ فِي القَلْـــبِ
تَـــوْقٌ
جَـــاءَ عِطْرًا وَمَطَـــرْ .
وَأَنْـــتَ فِي الجَسَـــدِ ...
ارْتِجَـــاجٌ ..
جَـــاءَ بِرْكَـــانًـــا خَطِـــرْ .
وَأَنْتَ فِي الرّوحِ
مَـــرُوجٌ ..
جَـــاءَتْ قَمْحًـــا ،،
جَـــاءَتْ شِبْـــرًا
جَـــاءَتْ وَرْدًا
وَزَعْتَـــرْ .
جَـــاءَتْ فِي لَوْحِـــي قَدَرْ .

المنستير : 23 / 1 / 1993

في الأعداد القادمة ، (قصـــة)

- هل أغني أم أبكي .....فاطمة سليم
- دنيـــا .....علياء بن محمد
- الوصيـــة ..... فوزية العلوي
- بائع عبّاد الشّمس .....عبد الكريم الوسلاتي
- خديجـــة .....صالح باشا
- «فصل» من رواية المعصرة .....عبد المجيد النفزي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عشق بِحجم الجنوب

شعـر : نجم الدين حمدونـــي
سيدي بوزيد

مدخـــل :

لأنثى، جميلة حتى الذبح ... قـالت ، بأنـــها لا تحبّ الجنوبَ لأنّه يحزِنها ... أفتح نافذة العشق !

لأن الجنوبَ حزيـــــن
وَوجهك حلْوٌ ،،، تؤرّخ فِيه السّنِين
وتَلهَث فوقَ لظَاه الشموس
ولاَ تَسْتَكِيـــن
وَدَدْت ،
لَوِ اللّه مَجَّ الجنـــوبَ
بِبرقِ شفاهك ...
حَتَّى ، عَلَى مَحْوِ هَذَا الظلاَم
بِهِ نَسْتعيـــن !!

لِأَنَّ الجنوبَ حزين
وَحزنِي عَلَيْهِ دَفِين
أحبّ الجَنوبَ
وحزنَ الجنـــوب
وتمرَ الجنـــوب الذي تأكلِيـــنَ
لتلك الشفـــاه يديـــن
وحَبَّ التراب
وزيتونة ، بالَسوَادِ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنير المَدَى ، وَتزيـــــن
يحلّونَ لغــزَ السؤال :
لِمَـــاذَا الجنوب حزيـــن ؟
لأنَّ جَمَالك يفنـــى حقيـــر
إذَا لم نكـــن كالصّخور هنـــا ...
لا نَلِيـــــن !!
* * * * *

لأن الجنـــوب كبيـــر ...
وأغصـــانه للسَّمَـــاء تشيـــر
و" بيَّـــاش " يروي لَنخلِ الجريد
عَلَى أي رَتـــــل
رَآهَا التمـــور ،
تحلّق ثـــمّ تطيـــر
لنستقبل الجوع جهـــرا
يغَذّيـــه هَذَا النفـــور !!
لأنَّ الجَنَـــوبَ كبيـــر
وَسمـــر الجبَـــاه ـ عليه ـ يمدّون
عنف السّواعد دَهْرًا
لتسقط خَلفَ اَلتّلال الأحاجي
وَخلـــف الأحَـــاجي عصـــور
ويزهـــر وجهَـــك
شَمْسًـــا وبحرًا
ويمتدّ بينـــي وبين لقاك الغـــرور
أحبّ الجنـــوب ...
ولـــن تفهمينـــي
وهلْ يَفهم العشق...
قَلْـــبٌ ضريـــر ..!!
* * * * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحــبّ الجِنـــوب
ولا شـــيءَ عندِي أحَبْ
وَأحيَا عزِيزًا
بحـــزنـــي ،
وجـــوعي ،
وسمـــرة أمّـــي
وتلك الشفاه التي أثقلتها الخطوب
فَصَـــارت حطَـــبْ !
أحــبّ الجنـــوب
ولا شـــيء عندي أحبْ
وذا ســـاعدي ...
وذِي هـــامتي تستعيـــر الشموخ،،
منَ النَخْلِ حين يلاَمس أعْلى السَحبْ !
وإنْ يرقصَ الليل ليلاً
عـــلى نـــاهديـــك .
وتنقـــاد نحو لظَـــاك الشّهب
فقَلبـــي ،
يحاصر عند الصحاري الهمـــوم
ويمنَع عنك التّعـــــبْ
وَلاَ أكتب اَلشعْرَ عَمْدًا ،،،
ولا أستلذّ الخطَـــبْ
فقـــطْ ...
أستَعدّ لموتِـــي ...
بصـــوتٍ
يسـائل صَمتًـــا:
أهذا الَذي أفتديه بأغْلَى العطَايَا / رفَاقي .
وَأحمل عنه شِظَايَا اللّهـــبْ
يجـــدّف ضدِّي
ويتركنِـــي فَي ألم المراسى خَشبْ ؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أهذا الذي أستلذ بموتـــي
لَأجلِ علاَه
يعارِض حلم الطفولَة فِيّ
ويزرِع شوك الغَضبْ
يصدّر عنْد الهزَائِم نَعْيًا
ويَعْـــــلو ،
ويَعْـــــلو
بتلك التَّمَاثيلِ فوقَ ربَـــاه
وهذي النَصـــــبْ ؟!
أحبّ الجنـــــوب
ولا شيء عنـــدي أحبّ
تعلمـــت منـــه
بأن العنادَ إنتســـابٌ
ونِعْمَ النّسَـــبْ
وأَهلي الصّعَاليـــك ،
جندَ الكَـــلام
يموتون في صفحةٍ منْ كتـــابٍ
وكأسِ عنـــب
ويِنهونَ كلّ افتـــراضٍ
بِتَرتيلِ حزب الغضَبْ !!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الأعداد القادمة : [شعر]

- وردة المواسم البيض والمدى .....صالح الفضلاوي
- سهام الهوى .....أميرة الرويقي الجبابلي
- في انتظار المكان .....عادل الهمامي
- سراب .....شكري الدشراوي
- خمرزاد .....مختار الأحولي

قـرّرت أن لا أركـع

بقلم : علياء بـــن محمد

الإهداء : إلى أمّي الشامخـــــة !
إلى كل صامدة في زمن الركـوع!

كما تغادر تلك الطيور ... كما تسافر عند قسوة البرد والثلج !
ارحل . غادر !صامتا كليْلي أو ثائرا صاخبا كالموج !
إرمني بالجنون.. قل عنّي ماشئت ، اصرخْ ..
مزّق سمط عقدي .. ألْقِ بما في يديك وغادرْ !
كغضب الشتاء .. كعصف ريح زعْزَعْ !
كسخط طفل .. كهمس جنون ولن أتزعْزعْ !
سافر كورقة خريف .. كحلْمٍ ببالي . كسحابة صيف تتجهّمْ!
" ولن أبك ساعات على كتفيك " ولن أركض خلفك ولن أتحطّمْ !
يا سيّدي ! أنا امرأة من قبيلة " بني كرامة " من سلالة من إبَاءْ لن أنهزمْ !
أنا امرأة لها قلب يحبّ ، يرفّ للحياة .. يرقص .. يهزج !
تصلي للشمس . للفجر .. للورد .. لرفرفة طائر لضحكة طفل يركض خلف فراشة
أنا امرأة لا تفكر بالحبّ ولا بالورود ولا بشعر شاعر / ولست كما تظنّ لا أشعـــر ولا أفقه معنى المشاعر / فقط يا سيدي أنا امرأة لا أرضى أن أكون قلبا محطّمـــا ! فقبيلتي لن ترضى إلاّ بقلبي أخضر أسمر " كالنسر فوق القمّة الشمّـــــاء " لا يهوي ولا يتهشّم ! أنا امرأة يسكن الحبّ جسدها ولا تستغرب / أحبّ أبي يلتحف عبـاءة جدّي ريحتضن سيفه ! وأمّي تهدهني عند نومي بأغنية تسافر بي إلـى دجلـــة والفرات وبابل /أحبّ أنامل طفل وسبع سنابل في ذلك الحقل ! أحبّ أن أترشّـف الشاي في فناء المنزل! ويسرد لي جدّي بطولات القبائل / أحـــــبّ أن أكون قصيـــدة شاعر! وقصة حب غير فاشل/ وعينيْ أمرأة لا تدمع وامرأة في وطني لا تـــذوب ولا تخضعْ! لذلك ارحل ! غادر ! ولن أغضب ، مكانك ليس هنا/ إمرأتك لست أنـا! فلست من يخضع فقبيلتي بنو كرامة من سلالة من إبـــــاء علّمتني ألاّ أركعْ .

خواطر معلمة

بقلم : فاطمة سليم

حبيبتي تلميذتي
عدت إلي .. وجلست قبالتي
جئت نظيفة .. جئت أنيقة
كالوردة البيضاء .. كالفكرة السامية .. كالأثر الطيب
إبتسمت لي وقلت : أهلا بك سيدتي
حدّقت فيك .. فصمتّ
أمرتك .. فأطعت
حدّثتك .. فأصغيت
ناديتك .. فأجبت : لبيك ياسيدتي ،
حبيبتي .. تلميذتي : أحبك .. أحبك .. أحب فيك تلهفك على الجديد .. على المفيد .. أحب إصبعك المتعالي في الفضاء .
أحب عينيك الحائرتين .. وفمك المشدوه .. لغرائب الدرس .. وأسرار العلم .
أحب أسئلتك الطريفة العميقة .. أو السطحية البسيطة ،
خذي الكتاب واقرئي .. وحاولي أن تفهمي .
إسمعي .. وعي .. فكري .. وقدّري .. تكلمي وأفصحي
خذي اليراع وحبّري .. وعن أفكارك عبري .. أوضحي الخط وارسمي .. تذكّري الدرس وذاكري .
ابحثي وفتشي : عن سالف الذكر .. عن أجدادك .. عن أرضك .. عن تاريخ بلادك .. عن الدنيا ومافيها .
غوصي في البحور ..واكشفي عن الدر المكنون ..
في النثر في الشعر ،

احذقي اللغات.. وصارعي الرياضيات .. واغلبيها وسخريها لك لفكرك .. لبلادك .
طالعي هذا .. وذاك .. وجرّبي .. وتطلعي .. لتفهمي أســـــرار الحياة .
حبيبتي تلميذتي ،
خذي الدين لك دنيا
خذي العفة لك تاجا ،
خذي السماحة والطيبة
خذي الحكمة والتعقل
تجملي بجواهر المجاملة والفطنة ،
حبيبتي تلميذتي ..
عصفورتي ترقبك في بيتك ..
تقول لي عن فعلك ..
عن طاعتك لأمك ..
عن يد بيضاء تسدينها لأهلك .. عـــن ترتيبك وفنك .. عن شغل منزلي تحذقينه .. عن إبرة بهـــــا ترقعين تطرزين .. عن أكلة طيبة تطهين ،
حبيبتي تلميذتي ، خذي من كل مفيد بطرف .. فأنت اليوم فتاة خفيفة الظل ، مدللة معززة مبجلة .. لكنك ستغدين يوما إمرأة، ستطالبين .. ستسألين ، فاستعدي وتسلحي .
تسلحـــــــي يا حبيبتي .. فسيأتيك يوم .. تريدين فيه أن تلبسي ، أن تتأنقـــي أكثر وتتجملي ،
أن ترحلي وتكتشفي ..
أن تعشقي وتتزوجـــي وتنجبي .. أن تبني وتشيدي وتعملي .. فكوني العالمة المثقفة .. كوني الفاضلة النيرة ..
كوني المربدة المقتدرة ..
كوني المعلمة .. كوني الطبيبة ..
كوني الممثلة الأريبة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كوني المواطنة الصالحة ..
أريدك تلميذتي .. أريدك صلبة .. أريدك مرنة .. أريدك حية
كالحياة .. أريدك ذكية كالذكاء .. إن وجدت السّلم فسالمي ..وإن
وجدت الحرب فحاربي .. لا تخافي ولا ترهبي .. تشجعي ..
تقدمي ..
إكسبي المال .. وأنفقي .. بعينيك للطوارئ أنظري ،
حبيبتي تلميذتي .. اِبتسمي .. افرحي .. للمرح .. تفتحـــي .. لا
تغضبي ولا تتجهمي ، .. أشعي اَلنور والبهجة حيث تكونـــي ..
ترنّمي واهزجي .. تفنني تأنقي .. أحبي الحياة .. أحبي البشر..
أحبي أحبابك .. وليكن عقلك عاقلا .. وفكرك راقبا .. وقلبـــك
طيبا نيرا .. لكن .. حذار من الخطر .. ومن ذئاب البشر ،
حبيبتي تلميذتي .. سأسعى بجهدي لأفيدك .. لأروي عطشك ..
سأكون يا حبيبتي قدوتك ،
يا تلميذتي .. يا حكاية جزء من ماضي وحاضري ،
أنت يا بنيتي .. تذكرينني طفولتي .. وتدغدغين أمومتـــي ..
وتثيرين غيرتي ، على مستقبل وطني
تقولين لي بعينيك وقلبك .. أحبك يا سيدتي.. لبيك ياسيدتـــي

وأنا بدوري أحبك يا حبيبتي.. فأهلا بك أهلا بك
يا تلميذتي ..
خذي مكانك وانتبهي .

في الأعداد القادمة : (دراسة)

- الرؤية الدينية في مجالها واشكالها .....محمود البش
- قراءة في نص من رسالة الغفران .....عادل الوحيشي
- النص الغائب وتجلياته في شعرنا الحديث .....الطاهر عوني
- النقد الأدبي العربي الحديث :مشكلاته وآفاقه .....الأزهر النفطي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الغدير والجلباب الأسود

بقلم : فوزية علوي

ها كبرت يا"عوّادية "... ها وجهك صَبحَ.. وخصرك تدور وخدّك رقّ والجيد ...
ها هربت منك الطفلة وشعّت في عينيك أحلام الغيد... أشعلوها وأجبروك على اعتناقها، فأحرقتك ولم تدفَئي ...
ها... أسروك وعدّوا عليك خطوك والأنفاس ... ها سوّروك وحصّنوك وما عادت تحتظنك الغابة وحيدة مع النّدى والأرانب ...

* * *

... القدّ الفارع .. والنهد العاج ... وحقة المسك تفتم البطن ... محرقة كلها صارت ... وصكت عليها الأختام ... أين الغدير؟ فيه تتغمسين وتشربين ؟ يدغدغك الماء .. فتضحكين مجنونة النشوة ... تتمرّغين على الأوراق الغافية والعشب المرطاب ... أين المدى ؟ والجري اللاّهث إلى وقت تختارين الأوبة فيه ولا تفتقدين ؟ أين الصّدى ؟ تملأنيه بأصواتك المرحة... كُرْكُرَة تقلدين وزنيرا وعواء وغرغرة السواقي فيجيبك عاشقا ... تآلفتما حتى صار يأتيك في النّوم يستحلفك أن عودي إلى الغاب واملئيني مرحا فأنا غريب يقتلني الخواء... صار الصّدى أليفك حتى لكأنه منك ... يروم وجهه وأصابع يدغدغ شعرك ويؤرجحك على شامخات الذّرى ... فتقهقهين سكرى والرّيح عاشقة تترنّم .... الغدير صار بعيدا ... بقعة صافية في رأسك المحموم تغوصين فيها بين الحين والحين كلّما غرّقك العرق ....

* * *

يد أمّك تغطّي ساقك كلّما تعرّت بكاف الجمر الأحمر ... تمدّين رجلك بعنف ... تنفضين اللّحاف ... ثقيلا تحسينه كركام من الحجر ... دعوني ... وددت لو صرخت لكن الشفاه المتورّمة والأعين المغمضة والعرق المالح الحارّ يهمي جداول على الروح يحرقها فتستشيط ... وددت لو صرخت ... ها متحلّقات حولك . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سود اللّحائف والعيون ... ها يصلين عليك صلاة الجنازة .... ها معينات للمـــوت على عنقك وأحلام القطّاة .... ها مقيدات بالأساور والخلاخيل والحكايا الغابـرة ... جاثمات منذ دهر على رأسك وبطنك وساقيك ... يعددْن رفّات الجفون... وحركة الجبين ... وتهدّج النّفس في حلقك ... وقطرات العرق بين ثنايا.

الظّفائر ... وأمك رائحة ... غادية ... تتمتم ... وعيناها في الغيم ...وديك عجوز ... يقتحم الغرفة ... يكركر في غضب ... يبحث عن دجاجة ضالّة ....

* * *

ما فهمت أمّ لك ... ولا أخت ولا جارة ولا صاحبة ... لما ذا تصرعك الحمّـى وأنت بالفرح أجدر ... " عوّاد " جميل .... يملك السّهل والجبل والوادي ... سقفـه قرميد وخيوله صواهل ... وكلابه ليست تسهو عن النّباح .... وقمحه جبـــال تبرق ... والكرم يهمي عنبا غضّا وبيته أفق ... وزرابيه مجلوبة مـــن بلاد بعيـــدة .... وثيرة حشاياه ... وله الأواني والصّواني ... له البخور والمسك والـــورد والحنّاء وزعفران الجان ... له البوادي والصّقور... له البيادر والطّيور ... له الفيء والماء .... وله نجوم السّماء ... وسيَطْليها طيبا زوجةَ عمره وعلى جبينها يعـــلّق شهب الذّهب والفضّة ... وسيخصبها فلن تلد إلاّ فحولا ....

وشاربه عوّاد ... هل رأيته يا غبيـــة ؟ ... ألم تقشعرّي لمرآه ؟ ألـــم تصطكّ ركبتاك وهو يصرخ في قطعانه وأتباعه ... لـــم تر شيئا ممّا رآه غيرها ... ولا عشقت خيله وإبله ... ولياليه يزيّنها انصّخب ... عشقت فقط قمـــر السّمـــاء وبرودة الغدير ... وساقيها تطلقهما للرّيح ....

لم تَرْن يوما لسوار أو خاتم ... كانت تستحمّ عارية في الغدير ... تطارد صغار الضّفادع ... وتطرب لإنزلاق قدميها علـــى الطين النّاعم ... وتتسلق أشجار البلّوط تشاكس أعشاش الطيور ...

* * *

كان الماء باردا ... محمومة القلب كانت ... مقرورة ... لاحمت جسمها فقاقيـــع الماء ... ثم انفجرت في صوت مكتوم ... استطابت قرقعتها فابتسمت رغم الحزن الثقيل .... للماء يد خافية تبلّسم جراحَـــها .... مرضوضة كـــانت ... متورّمة

الذّراعين والظّهر والوجه ... عَصَا " براق " كانت شديدة .... غمـــــرها المـــاء ... فأحست نفسها جنينا سابحا في لزوجة رَحمٍ دافىء ... طفلةً كانت تتبع أمها في تجاويف السّهل تجمع القشّ والحلزون والشّقائق ... وتسرق التفاح الأخضـــــر وتستمرئ حموضته المرّة العذبة،وتخاف "برّاق" وهو يغد إلى الغرفة حانقا أبدا يطلب الماء البارد والخبز ويشرب الشّاي كالقطران ... فتهبّ مذعورة تخـــاف عصاه ....

خمدت آلامها قليلا ... والماء يتأ وه تحت رنين جسدها المشروخ ... عصا بـــرّاق كانت شديدة ... لا أشفق على وجه القمر ... ولا على ذراع النّور ... ولا عـــــلى ظفيرة الزيتون الحالكة .... شدّ الظّفيرة لواها على يده ... حتـــى أحسّت جلدة رأسها تطرطق تنزّ بدم حارّ .... يعمّدها ويستقرّ عند مستوى العنق الذّبـــح .... من ترفض عوّاد ؟ من تحلم بغيره ؟ ... ماله والوفرة ... وخيله والكثـــــرة ... و،زئيره الصّاهل ؟... وكيف تتعنّت " عوّادية " ومن علّمها النشوز ؟... أمّـــها ... كانت خيمة صامتة في وهدة سحيقة ... حركة حثيثة في نهارها .. وجثّـــة بـــلا أحلام كلما هجم اللّيل ... والعينان منطفئتان .... وسط عباءة ســـوداء ... والحشى مخصاب والصّبر ...

* * *

سباها الماء .... فاسترخت ... استلذّت ... تلمّظت ....لعقت شفتيها في ملح مـــرّ ... الغدير يعمق ... ينفتح على وهدة بعيدة ... الماء فيها أبرد... أعذب ... بريـــح كالندّ وأشجار غريبة بأوراق كريش الطّواويس .. وأسماك تضحـــك ... أخذتها أكفّ الماء بحنان ... نامت جراحها ... طابت .... وناداها الصّدى فـــلم تسمـــع ... عوّاديّة على الأعناق مجلببة بالسّواد ... بدا جسمها منتفخا أكثر من عادتـــه ... إلا أنّ الوجه من فجر كان ... في غفوتها الأبدية تحلم بالغدير ... والصّدى فـــي الغابة البعيدة ينتحب ... " عوّاد " يصهل فوق جواده ويمرّ كالرّيح... و" بـــرّاق" يزأر في قطعانه ويبصق ... وأمها كومة من الرّماد الأسود .... فـــي قعر البيت تبكي وتستغفر .

جويليـــة 91 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليمة الألم

قصة تسجيلية بقلم : المختار المومني
أبو حسان (صفاقس)

ـ *إلى الذين يصنعون رخاء الدول الصناعية بمعاناتهم وعذابهم .*

وركعت على الأرض أودعها بينما كانت رائحة الخزامى والشيح ، والأعشاب الندية تنفذ إلى خياشيمي .. وفي صوت يشبه الهمس .

ـ " معادش فيه فايدة يا أرضي العزيزة ... يا أمي الغالية ... ما عطيتني ضيعو الجفاف ، الغرسة يبست .. البير شاحت.. النعجة ماتت.. المطمورة فرغت حتى الفيران ما عاد لها ما تاكل دارت على بعضها حوت ياكل حوت ..آه .. كل شيء ضاع، وما عاد عندي كان بسبوري .. أخر كرطوشة .

وهبت نسمة باردة مثقلة برائحة الأرض العطشى حاملة معها بردا لاسعا في تلك اللحظة وقد تناهت إلى سمعي أصوات مختلفة .. صياح ديكة .. ثغاء شاة ونهيق حمار ..

خرجت من قريتي متسللا دون أن أودع أحدا من أهلي ومعارفي ، وكل ما أملكه جواز سفري وبعض القطع النقدية الصفراء في قعر جيبي .

في مدينة النور باريس

تركت في المطاربقايا منديل أبيض وحفنة من دموع، وجئت إلى هذه المدينة ، وها أنذا أقف وحيدا ، مقهورا.. ضائعا .. إن مدينة النور يعربد فيها الظلام ، مليئة بالصمت وخيوط العنكبوت، أحس بها تنهار فوق رأسي .

ورأيتهم.. كانوا يجلسون في مقهى شعبي ، طلبة من بلادي عرفت ذلك من طريقة كلامهم .. كانوا يقرؤون صحفا متنوعة ..

اقتربت منهم سلمت ثمّ جلست حذوهم .

ـ في البطة المغلولة Le canard en chaine

مسؤولون عن العمال السويديين يصرح

* سوف يتحطّم عملي إذا توقف حضور العمال من الخارج

زميل له فرنسي يقول

* لا نستطيع الاستغناء عنهم .. كابوس ينتظر أوروبا لو تم ترحيلهم

ـ في إفريقيا الفتية Jeune Afrigue

* إنّ الدول التي ترسل أبناءها للعمل في الخارج تتخلى عن جزء كبير من قوتها العاملة وقدرتها الانتاجية ، حتى إن بعض الدول من بحر المتوسط تعود فتستورد العمال

ـ في جريدة العالم Le Monde

* فرنسا لا تريد أي مهاجرين جدد

ـ النيويورك تايمز New York Times

* إن وضع المهاجرين في أوروبا يختلف عنه في أمريكا إن أمريكا كلها مجموعة من المهاجرين ، والمشكلة الكبرى مع الزنوج في عدم التزاوج معهم .. أي أن المهاجرين لم يندمجوا كلية في المجتمع الأمريكي وهذا غير الحال في أوروبا .

ـ المجاهد الجزائرية EL Moujehed

* الحكومة الجزائرية منعت استمرار الهجرة إلى فرنسا حتى تضمن هذه الأخيرة الأمن والكرامة لمن يبلغ عددهم 440 ألف عامل جزائري

ـ الصباح التونسية

* لقي أربعة شبان حتفهم منذ أربعة أيام من جراء الاختناق أثناء نومهم داخل الحجرة التي تأويهم ، ويبدو أنّ الحالة الرديئة لأنابيب الغاز هي التي تسببت في اختناقهم ، وهم من أصل تونسي الحادثة كانت في مدينة" إكي أنبروفانس"

حدث وحديث

القلق يتكدس بالأطنان .. الحركة على أشدها في هذه المدينة الصاخبة البشر يجرون في كل الاتجاهات .. عيونهم تحدق في كل شيء وفي اللاشيء أصواتهم تعلو وتنخفض .

ـ ألن يحدث الجديد ؟

احتد بي التساؤل عند باب مصنع السيارات .. كان المدير يصول ويجول وهو يدخن في عصبية

2710

ـ الذي حيّرني كيف أحس هؤلاء الكلاب بنقطة الضعف في المصنع .تطلع إليه سكرتيره في ضيق

ـ تصور يا مسيو فرانسوا أن مائة عامل أجنبي قرروا الإضراب شيء مضحك، وأنت ترى الوجوه السمراء تحمل لافتات وتنادي بالإضراب

ـ أنا أتساءل كيف توصلوا إلى فهم وضعيتهم غير قانونية في المصنع ؟

ـ إضرابهم أكبر خسارة للمصنع سيدي

ـ لو لم يشجعهم الفرنسيون لما أقدموا على الإضراب

ـ ما رأيك سيدي المدير لو نطردهم ونأتي بغيرهم من الاسبان أو الأتراك

ـ سأفكر في الأمر

ألف .. لام .. ميم

وأعود إلى غرفتي محطم الأعصاب

ـ تضحك يا محسن .. تضحك ؟!

ـ إيه .. " كثر الهم يضحك "

ـ آه يا محسن على سيارة ودار ومائة مليون

ـ أغلق الباب

ـ دعنا نشم الهواء .. لقد أصبحنا كالسردين المعلّب في هذه الغرفة

ـ سردين أو " تن " ماذا ستفعل ؟!

تقفل الحجرة وأظل متكئا على سريري المهتريء.. أتناسى ألمي وأعلق نظراتي المتعبة على الكوة المنبعث منها ضوء شاحب هزيل.. لا معنى له، بينما يفضل بقية الرفاق مراقبة حلقات الدخان والاستغراق المذهل

ـ متى تعود لوطنك ولأهلك ؟

ـ عندما ينهق الحمار في البحر .. " كل شيء بالمكتوب "

ـ متى ينتهي عقد عملك ؟

ـ سينتهي بعد أسبوع

أخذت من تحت المخدة كتابا .. ألقيت عليه نظرة قلقة .. متعبة ثم تركته يسقط على إسفلت الغرفة المشقق .. سقطت منه رسالة والدي الأخيرة إليّ ، فتحتها وأعدت قراءتها للمرة الألف

عقارب في 6 / 6

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من والدك الملتاع لفراقك

ولدي الحبيب

الذي أسمعه عن الذين يعملون بالخارج أنهم لا يتذكرون الأهل والأحبـــــاب والوطن إلا في فترات قصيرة وهم على فراشهم قبل أن يخلدوا للنوم ، وحتـــى إن تذكروهم فلا تحرّك الذكرى في قلوبهم ساكنا غير الحنين الذي سرعان مـــا يتلاشى ، وأتمنى ألا يكون من هذا الصنف ، آخر أخبار البلد ، عمّار الجربوع عاد من ألمانيا بصفة نهائية وجاء بعروس شقراء وبسيارة "مرسيدس"

وأسحب الوسادة .. أحاول النوم .. أدور على جنبي الأيمن فالأيسر فالأيمـــــن فالأيسر.. يدور شريط طويل داخلي .. اليوم تم استدعائي إلى مخفر شرطـــة باريس، وإذ وقفت أمام رئيس المخفر صاح في وجهي ساخطا

ـ أنت الذي كتبت على جدار العمارة التي تسكنها«باريس ليست هارلم أخرى»

ـ أجل فنحن نحيا أكثر من ثلاثين واحدا في غرفة واحدة نتداول عليها صبـــاحا مساءًا.. غرفتنا بدون ماء ولا إنارة ولا كهرباء.. نحن نصنع رفاهيتكم ولا نجني سوى الغربة والتعب والمرارة .

ـ أرجوك أن تكف عن الشغب فلا داعي أن تثير أنت وأصحابك من العمـــــال المهاجرين أي فكرة من التعصب العنصري، إنه غير موجود هنا ولكنكم بالإشارة إليه تدفعوننا إلى التفكير فيه، ثم تتحول الفكرة إلى حقيقة . وعندما خرجت إلى الشارع كان جماعة من الفرنسيين يحملون صورا لرجل أسود يغتصب إمرأة بيضاء وتحت الصورة عبارة :« ساعدوا شرطتكم» .

لم أستطع النوم .. أدرت مؤشر الراديو.. كان الراديو ينوح .

" يا ربّي سيدي أش عملت أنا ووليدي ربّيتو بيدي وهزّتو بنت الرّوميّـة

أحسست وأنا أستمع إلى الراديو أن حجرا ثقيلا يشد إلى صدري وأن أمعائـــي تتكمش.. تتكمش .. ثم رحت في سبات طويل .

نهاية الحلـــــم

حرك أحد الرفاق سريري بقوة فاستويت جالسا .. وقفت لألقي حفنة من المـــاء على وجهي ، وكان والدي ينتظر السيارة .. الفيلا .. رأس المال .. وكانت والدتـي تنتظر العودة بالزوجة الشقراء ذات العينين الزرقاوين ، ولم أكن أحلم بسيـارة ولا بفيلا ولا بالشقراء .. كنت أحلم بالعودة لأحضن تراب وطني ، وأبكي علـــى صدر أمي .

2712

من الفكر العالمي

قـــادة العالـــم والتّنصّل من العقاب
كلمات من أجل نسيان النّسيان

بقلـــم : إدواردو غاليـــانو(1)
تعريـــب : خليفة الخيـــــاري

تقديـــم :

بين الشمال والجنوب تاريخ من التناقضات والفوارق على جميع الأصعدة حتى وإن كان الشمال شمال القارة الجديدة والجنوب جنوبها . صراع وجود اتخذ أشكالا متعددة دون ان يشهد جوهره أدنى تغيير. فمع بداية عصر الحديد بشر الشمال الجنوب بالنهضة والنور ليسلب ثرواته ومعادنه التي لاغنى للثورة الصناعية عنها. وقوبلت المقايضة بشيء من الإنغلاق والتردّد توخاه الجنوب الجائع عندما تفطن إلى أن الحرية المبَشّر بها ليست دينا جديدا تنزل هذه المرّة على الشمال... وإنما هي مهاد يسبق الاكتساح الشامل، وهو ماحدث فعلا وعمق الشعور لدى الجنوبيّ المغفل بأنه لم يلقم إلا طعما مسموما وما أعطي إلا الجلد الذي سيقدّ منه السّوط الذي يجلد به ... وكانت حركات التحرّر رهانا على ماوراء العرش، وسَمْتًا قويما لإلغاء الصفقة الخاسرة في زمن البقاء للأقوى، وإستعادة الأرض مبقورَة البطن مخدّدة الأديم . يومئذ ، سجل التاريخ أنهم ما أتوا إلى الجنوب إلا فرارا من محنة فلسفة علمهم التي صعقتهم بتحويل أنظارهم من السماء إلى الأرض ليكتشفوا أن الأرض المعينة هي جنوب الشمس ومناجم الذهب وآبار النفط... وليست أرض الجليد والطبيعة العابسة في الشمال.

وهاهي اليوم فلسفة العلم تتجلى لديهم في تقنية أشبه بالسحر إلا أنها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تصفعهم من جديد بحقيقة وضعهم البشري، بواقع انسان الشمال المتسمّم جسدا وروحا ، الذي يحيى ليأكل ولا يأكل ليعيش... وبدأت حلقة جديدة من حلقـــات البحث عن الوصفة المجانية لإنقاذ مجتمع الإستهلاك وتسكين أورامه.. وطفقـت وسائل الإعلام تتجهّز لتزكية المقايضة الجديدة بإغراء الجنوب برونق المدنيـــة المصنّعة عابقة بأريج الديمقراطية وحقوق الإنسان مقابل تفويت إنسان الجنـوب في معناه البشري ونقاوة بيئته من التلوّث ، وتخليه عن أسباب الحيـــــاة السليمة ونكهتها الطازجة ... والفارق بين العمليتين أن الأولى جوبهت ببعـض النفور ، أما هذه فلذيذة الطعم مستساغة لا يتردد ذائقها في الذهاب إلى الجحيم من أجلها ... وهو ما يشير إليه فرانسيس فوكوياما في كتابه : نهاية التاريـخ والإنسان الأخير بقوله: « حتى وإن لم تكن جميع بلدان العالم قـادرة علـى أن تصبح مجتمعات استهلاك. فليس هناك من مجتمع واحد في العـــالم لا يتصوّر أن هذا الهدف هو هدفه الخاص » والنص ـ الوثيقة الذي نشرتـــه الصحيفة الشهرية « لومند ديبلوماتيـك » (*Le Monde diplomatique 1993 / Juin*) *والذي حاولنا تعريبه لا ينطوي علـى حقائق جديدة ، وإنما هو وصفة مضادة لداء النسيان الملازم لذاكرة إنسان الجنوب الذي يحتاج إلى وعي رفيع جدًا ليميّز بين حرية يكتسبها بالسعي المنتظم لبلوغ مرتبة ثقافيـــة تخرجه من دوامة التيه الحضاري والبله المعرفي .. وبين حرية مجلوبة إليه كالمخدر تترفع به عن مآزقه دون أن تصف الحلول التي تخرجه منها ... حتى لا يكون تاريخ الإنسان مسيرة أعمى يقوده مجنون إلى هوة لا يعلم كلاهما قرارتها ...* [*المعرّب*]

==========

النص المعرّب :

* مدينة دي غوايانا (De Goiana) بالبرازيل ، سبتمبر 1987 : إثنان من ملتقطي المهملات يعثران على أنبوب معدنيّ ملقى في ساحة شاسعة ، يكسّرانه بضربات مطرقة ، يجدان داخله حصاة ذات لون أزرق . تلك الحصاة العجيبة يصدر عنها نور أزرق في الهواء الطلق وتضفي على كل ما تطال لمعانا .

الرجلان يفتّتان الحصاة ، متجاهلين النّور ، ويتقاسمان الأجزاء الصغيرة مع أجوارهما. كلّ من يحك جلده يلمع في الليل ... ويتحوّل الحيّ كله إلى فانوس، وكان الفقراء المزدانون بالنور في نشوة عارمة .

حارقة . فالنور يمزّق يقطّع، يقتّل ، وينتشر تنقله الرياح ،والأمطار والبـــعوض والعصافير .

كانت تلك أعظم كارثة نووية في التاريخ بعد تشيرنوبيل أودت بحيـــــاة الكثير ، من يدري كم عددهم . وآخرون يفوقونهم عدداًصيبوا بعاهات مزمنـــة . في هذا الحيّ من ضواحي مدينة ‹‹غوايانا ›› لا أحد كان يفقه معنى كلمة إشعـــاع ولم يسمع قطّ حديثا عن ‹‹ السيزيوم 137›› [Cesium] .

لم يقع إيقاف ولو واحد من المسؤولين ، واستمرّ المخبر الذي كان ألقـــــى أنبوب السيزيوم في العمل بصفة عادية ، فأمريكا اللاتينية هـــــــي أرض المتنصّلين من العقاب .

ترنّ تشيرنوبيل كلّ يوم في آذان العالم ولا ذكر لدي غوايانا . فأمريكـــــا اللاتينية معلومة محكوم عليها بالنسيان . وكانت كوبا في السنة الفارطة قـــد جلبت أطفال دي غوايانا المصابين بالإشعاع ،ولا تزال تسهر على مداواتهم مجانا. هذه الحادثة لم تحظ إطلاقا ولو بالقليل من إهتمام وسائل الإعلام ، والحـــال أن مصانع الرأي العام العالمية تتسقّط تباعا أخبار كوبا كما نعلم .

* * * * * * * * * * *

* مدينة مكسيكو ، سبتمبر 1965 : هزّة أرضية تحوّل ألف منزل وعمـــارة إلى ركام في ثلاث دقائق . لا أحد يدري ولن يدري أبدا كم من قتيل ذهبـــت بروحه تلك اللحظة الرهيبة في المدينة الأكبر والأكثر هشاشة في العالم . فـــي البداية عند الشروع في رفع الانقاض ، صرّحت الحكومة بمصرع 5000 شخـص . ثم أطبق الصمت . وقد غطّت أولى الجثث المستخرجة قبل أن توارَى في مقابـــر جماعية ، مساحة ملعب للتّنس .

فالمباني القديمة تقاوم الإهتزازات الأرضية بينما تَندكّ العمارات الحديثـــة لكأنها بدون أسس ومَاوجِدت بتاتا إلا في الرسومات . وانقضت سنوات وظـــل المسؤولون بدون عقاب : المقاولون الذين يشيّدون ويبيعون قصورا حديثة مـــن رمل ، الموظفون الذين يسمحون ببناء ناطحات سحاب في المواضع الأشـــــد خطورة من المدينة . المهندسون الذين يزوّرون إجراميا مقاييس الأسس وقـدرة الإحتمال ، والمراقبون الذين يزدادون ثراء بالتغاضي. لقد اختفت الأنقـــــاض وأعيد البناء حيث تهدّم كل شيء ، لكأن شيئا لم يقع .

* سنة 1991 ، نشرت، الأسبوعيتان : (The Economist) و (The New York Times) مذكرة داخلية للبنك العالمي ممضاة من طرف أحد مديريه . وقع التعرّف على معدّها ، رجل الإقتصاد لورنس سامرز (L . Summers) المتخرج من جامعة هرفارد ، حسب تلك الوثيقة ينبغي أن يشجع البنك العالمي على نقل الصناعات الملوّثة (Delocalisation) إلى البلدان الأقل نماءً لثلاثة أسباب : المنطق الاقتصادي الذي يدعو إلى إلقاء النفايات السامة في البلدان الأكثر فقرا . إنخفاض نسبة التلوث في البلدان ذات الكثافة السكانية المحدودة . وضعف تأثير السرطان على الأشخاص الذين يموتون دون بلوغ سنّ متقدّمة .

ارتفعت بعض الأصوات منددة لأنّ هذه الأعمال تمارس ولكن دون أن يعلن عنها ، ولأن التكنوقراطية العالمية تستحقّ ما تجنيه جرّاءَ تساهلها . إلا أنّ السيد « لورنس سامرز » ليس شاعرا سيزياليا وإنّما كاتب ينتمي إلى التيار اللامع للواقعية الرأسمالية ينهض بوظيفة مساعد كاتب دولة الكنوز ، مهتمّ بالشؤون العالمية في إدارة كلنتون ، فالجنوب من قديم الزمان مصبّ فضلات الشمال المشحونة بالنفايات النّووية والصناعية . وهذه المذكرة لم تحدث وقعا .

إنّ التلوث عندنا مثل الرّبا ، كان ذلك منذ ستة عشر قرنا عندما منع القديس أمبرواز(S . Ambroise) الأب ومشرّع الكنيسة ، الرّبا بين المسيحيين وأحلّه ضد البرابرة . « هناك يسود قانون الحرب يصرّح الفقيه يباح قانون الرّبا » وفي أيامنا ، ما يضرّ الشمال يفيد الجنوب وفق قانون الحرب عند هؤلاء الذين يأخذون تقريبا كل شيء من هؤلاء الذين لا شيء عندهم . تلك الحرب المضمّرة تبرّر أيّ شيء خارج النظام والحضارة . ومملكة التنصّل من العقاب تبدأ من العَدْوَة الجنونية « لريوقراند »* ، فضفاف البحر المتوسط ، ثم قمم الهِمَلاَيا .

* * * * * * * * * * * *

*وقد أغرت الرواتب المنخفضة جدّا ، وحرية التلويث العديد من المؤسسات الأمريكية الكبرى باجتياز حدود المكسيك في السنوات الأخيرة ، وكانت مدينة « ماتامروس » الحدودية من بين المواطن التي تجلّت فيها عواقب تلك التحويلات (Delocalisations) : لقد أصبح الماء الصالح للشرب يفوق ألف مرّة مياه الولايات المتحدة تسمّما . وحسب دراسة حديثة عن مركز الدراسات السياسية بتكساس (T . C . P . S) فإن المياه أكثر تلوّثا ستة آلاف مرّة في الضواحي المحيطة بمصنع

جنرال موتورز (General Motors)وتبلغ نسبة من التسمم أكثر إرتفاعا خمسين ألف مرّة من المصبّ الأمريكي حيث تلقى نفايات مصنع « ستيبن كاميكول » (Stipan Chemical) .

* * * * * * * * * * * *

* كان الفيزيائي البرازيلي « إنيوكندوتي » (E. Candotti) قد لاحظ أن البلدان الأكثر غنى لا تستطيع الحفاظ على نسبة نموها المرتفعة دون تصدير الدّمار إلى أراضي الآخرين . فاليابان مثلا لا يصنع الألمنيوم قطّ . فهذه المادة تصنع في بلدان مثل البرازيل حيث الطاقة أخفض ثمنا والبيئة في صمتها تتألم ،

فإذا وضع سعر الألمنيوم في إعتباره التكلفة البيئية ، فإن هذه الصناعة المضرّة لن تجد رواجا في الأسواق العالمية .

* * * * * * * * * * * *

* تزرع كولمبيا الخزامى (Tulipes) لمصلحة هولندا والزهور لألمانيا . وترسل المؤسسات الهولندية جذور الخزامى إلى سباسب « بوغوتا » (Bogota) . وترسل الشركات الألمانية مشاتل الزهور إلى مدينة « بوياكا » (Boyaca) . وعندما تكمّم الأزهار النباتات ، تجني هولندا الخزامى ، وتجني ألمانيا الزهور وتحتفظ كولومبيا بأجورها المنخفضة وبأرضها المخدّدة ، وبمياهها المستعملة المسمّمة .

وقد أعدّت عالمة الإجتماع الكولمبية « ماريا كريستينا سالازار » (M. C . Salazar) بحثا حول المخلفات المدمرة لهذه اللّعبة النّباتية في العصر الصناعي أثبت أن نباتات ، السفانا في بوغوتا بصدد الذبول والموت ، وأن المبيدات ومواد التخصيب الكيميائية المتعدّدة أصناف شتّى تتسبّب في أمراض تصيب العمّلة والأرض في « بوياكا » .

وتنتج شركتا (Bayer) و (Dow Chemical) وتروج دونما رادع في أمريكا وتروج دونما رادع في أمريكا اللاتينية مخصّبات ومضادات أوبئة ممنوعة في ألمانيا والولايات المتحدة . ودون مانع تنتج شركتا فورد (Ford) وفولسفاكن (Volkswagon) وتروّج سيارات بلا مصفيات تلك التي أصبحت إجبارية في ألمانيا والولايات المتحدة . وأكثر من مائتي صنف من مبيد الحشرات مسجلة في

اللائحة السوداء للمنظمة العالمية للصحّة (OMS) تستعمل بصفة قانونية في « الايرغواي » (Uruguay) إحدى دول العالم الأكثر إصابة بالسّرطان . ولدى سكّان مكسيكو أرفع نسبة رصاص في الدّم . وحليب الأمهات المعوزات ، المزارعات في خليج « قواتيمالا » (Guatimala) هو الأكثر تسمّما في العالم .

وكيفما كان المنطق الإقتصادي الذي أفرز تقرير البنك العالمي فإن « قانون الإستغلال » هو الذي إتخذه العالم تشريعا وهو السائد دون وازع ، وعلى مذبحه تقدّم التضحيات الطبيعية والكرامة الإنسانية .

لا جديد ، لقد أصبح الإستخفاف بالحياة الإنسانية في ظرف خمسة قرون عادة والتنصل من العقاب يتغذى من القدر لقد تعلمنا الإعتقاد في أن البؤس وليد القدر ، مثل ذلك الذي ألقى بنفسه من الطابق العاشر إستجابة لقانون الجاذبية .

* * * * * * * * * * * *

* ومثل تلك العمارات التي إنهارت في مكسيكو إبّان إهتزاز الأرض وقع جهارا تقويض أركان الديمقراطية في أمريكا اللاّتينية . والعدل وحده قادر على أن يوفر له قاعدة صلبة للإرتكاز ، إلا أننا عوضا عن العدل ، أصبنا بفقدان الذاكرة . كل بلدان أمريكا اللاّتينية بعد الحكام العسكريين وسنوات الدّم ، والوحشية والرعب سكبت الماء المقدّس على جباه السفاحين والقتلة . وأحدث قانون نسيان سنّ في السلفادور (Salvador) كان في مارس الماضي (2) وليس عجيبا أن يصفّق هؤلاء الذين يبكون التنصّل من العقاب ، بحرارة لفائدة الإجراءات المتخذة ضدّ القادرين على إرساء حقوق الإنسان المحصّلة في أروبا الغربية . ففي جنوب العالم ، إرهاب الدولة مرض أساسي .

* * * * * * * * * * * *

* في السنوات الثلاثين الأخيرة حفر الأخدود الفاصل بين الشمال والجنوب ، مما يستوجب إحداث قاموس جديد للقرن المقبل ، فما يسمى بالديمقراطية العالمية ليس فيه ماهو ديمقراطي فعلا . مثل عبارة الإشتراكية التي لا صلة حقيقية لها بالإشتراكيين . ولا يمكن أيضا لتوزيع الخبز والسمك أن يكون ضدّ الديمقراطية . فمالدينا للجميع لكن الذين يأكلون قلّة والأربع أخماس من البشر عليهم دفع فاتورة ما استولى عليه الأخيار . إن نظام الأقوياء الذي يكرّس

مجتمع الإستهلاك يحوّل الضعفاء إلى رهائن يهيمن عليها الذعر .

نحن نعيش أزمنة تقويض الدولة في أمريكا اللاتينية ، هي ساعة الحقيقة : لكل ما يريد وكلّ شيء له مكانه . فالدولة لا تستحق الوجود إلا لدفع الضريبة الخارجية وضمان السلم الإجتماعي . وهذا يعني بوضوح : أن تراقب وتعاقب . وحتى لا تصبح الخفايا مَرَايا ، من الضروري شراء الأسلحة ومضاعفة ذوي الزي الموحّد . في حين تهمِل اللّوازم العامّة للتربية ، والصحة والمأوى ، ويَحتجب الدعم لشراء الإحتياجات الأساسية .

يصنع النظام الفقراء ويعلن عليهم الحرب . يضاعف عدد اليائسين ويلجمهم . والسجون بوابات جهنم ، لم تعد قادرة على ضبط كلّ المصابين بالهستيريا .ففي السنة الفارطة انفجر ما يعادل خمسين تمرّدا في سجون أمريكا اللاتينية الغاصّة . تلك الثورات أودت بحياة مايعادل تسعمائة قتيل جلّهم تقريبا من السجناء قتلوا ببرود وهنّيء الذين أعطوا الأوامر .

ومن بين القتلى بعض ممن اقترفوا جرائم هي عبث أطفال إذا ماقورنت بماأثورات أكثر من جنرال موسّم . أغلبهم حوكم من أجل السرقة وهي خطيئة مثيرة للسخرية قياسا على عمليات الغش التي يمارسها التجار والصيارفة الأكثر ثراء ، أو على الإرساليات التي يتقبلها بعض رجال السياسة كلما باع أحدهم قطعة من الوطن ، وثلة منهم كانوا قد أوقفوا خطأ أو على سبيل التحفّظ.

* * * * * * * * * * * *

لقد وصل قادة العالم في نهاية هذا القرن بتكنولوجيا الإعلام والموت مستوى من العَماء التام لا نظير له في التاريخ الإنساني . ولم يسبق لفئة قليلة كهذه أن بلغت حدّ المضاربة أو تبديد مثل هذه الفئة الكثيرة . فالدكتاتور الإلكتروني يؤمن التنصل من العقاب للدكتاتور العسكري الذي تمارس سلطاته المهيمنة على مستوى عالمي . والأعمال الأكثر فضاعة لإذلال الأشخاص واغتصاب الطبيعة ليست إلا سبلا لتكريس وتعزيز النظام العالمي المستهدَف .

وفي ساعة نجاة من يستطيع ينتقي الإصطفاء الطبيعي الأكثر كفاءة ، والأكثر كفاءة هم الأقوى ، وهؤلاء الذين ينفردون بإحتكار الأسلحة والتلفاز : المستهلكون في المجتمع الإستهلاك الذين يمزقون الأرض دون رادع ، ويثقبون طبقة الأوزون في السّماء .

2721

* كانت حرب الخليج المشهد التلفزي الأضخم والأثمن في التاريخ : مليـــون عارض ومليار دولار في اليوم . السيد صدام حسين الذي كان الطفل المدلل لـــدى الغرب ، تحوّل فجأة إلى هتلر لغزوه الكويت ، والسيد جورج بـــوش بـــادر بالمعاقبة باسم العالم : « العالم لا يستطيع أن يترقّب » وتسبب العرض البهيج في موت آلاف العراقيين ، إلا أن التلفزة قد حذفت تلك المشاهد المفزعة .

ولم يصبح السيد بوش هتلرا سنة خلت عندما غزا باناما (Panama) ولـــم يعاقب نفسه باسم العالم . وفوق كل ذلك ، كانت الولايات المتحدة قد غزت باناما حوالي عشرين مرّة طيلة هذا القرن ، والغزوة الواحدة والعشرون صـــوّرت تلفزيا مثل حدث مأثور .

فمن أجل القبض على الخائن نوريغا الذي كان أجيره في وكالة الإستخبارات الأمريكية (CIA) ، قذف السيد بوش الأحياء الأكثر فقرا في مدينة " باناما " ، وبعد القنابل ، أستخدِمَت الأسلحة المستحدثة منذ حرب فيتنام . وقد أحصـــت التلفزة مائة جثة ، ثم خمسمائة بلغتها الأرقام المحلية بعدئذ ، والآن نحن نعلـــم أنها تعدّ بالآلاف .

وقد أعدّت جحافل الإحتلال رئيسا هو السيد غيلارمو إنـــدارا (G. Endara) في القاعدة العسكرية الأمريكية فورت كلايتن (Fort _Clayton) ، وبعـــد ثلاث سنوات ونصف مازالت هذه الشخصية المفروضة والمتسلّلة من إحدى لوحـــات بوتيرو (Botero) تجلس على عرش باناما .

وكان السيد اندارا قد نظّم إستطلاعا قبل أشهر فصوت ثلاثة من بين أربعة مواطنين ضدّه ، ولا يمكن أبدا إدانة عدم شرعيته ، غير أن اللامعاقبة لا يمكـــن أن تسود مالم تكن صمّاء .

* * * * * * * * * * *

قال الكاتب الأمريكي « باد فلا كوُل » (B. Flakoll) أن الأخبار المرئيـــة والقصص المتسلسلة تتشابه بإطّراد ، فتجارة المخدرات التـــي اتخِذَت ذريعة لغزو باناما ، تبقى أحداث المبرّرات لإغتصاب سؤدد أمريكا الجنوبية . وفـــي الأخبـــار المرئية كما في القصص المتسلسلة هناك الأخيَار والأشرار ، الضحايـا والقتـــلة : كولمبيا مثلا لها دائما دور الشرير في الفيلم ولِسوق الإستهلاك دور الضحيـــة البريئة .

إلا أن تجارة المخدّرات ، صناعة الموت التي لا تقلّ فضيلة عن تصنيع الأسلحة لا يمكن أن توجد لو لم تستَتِرْ بالحَظْرِ ولم يكسبْها السوق شرعية الوجـــــود . والتجار هم ألمع تلامذة مدرسة الإقتصاد الليبرالي الجديدة : بتعميمهم قوانـــين السوق أفضلَ من أيّ كان ، يوفرون العرض للطلب المتطلّع إليه . والتجارة الأكثر إثراءٍ في العالم، هي نتيجة نمط عيش يولد السأم والعزلة ، والذعر في دوّامـــة اضطراع بدون شفقة ، حيث يقتضي نجاح البعض إخفاق العدد الأكبر .

* * * * * * * * * * * *

حدثت في كولمبيا ستة وعشرون ألف مذبحة وألفا عملية اختطاف ، فهـــل يصبح الكولمبيون عنيفين بطبعهم ، أناس يَسيرٌ تفجيرهم بحيث ينبغـــــي أن يخضعهم علماء العنف (Violentologues) للدراسة المجهرية ؟ وبالتالي هل تصبح هذه الطبيعة اللعينة سليلة الإهمال والسّأم ؟ لماذا عندما ينمو الإقتصاد يقلّل من أهمية الناس ؟ إن المفارقات الإجتماعية في هذا البلد الجامع لأغنى الأغنيـــــاء وأفقر الفقراء لأشدّ تفجّرا من القنابل التي تدوّي يوميا في « مادلـــــين » (3) ومثلما لا تنمو تجارة المخدرات في أذن عنزة ، لا تصدر حرب العصابات عـــــن فوهة الجحيم .

إن عددا كبيرا من الجرائم ، كان الفعل المباشر لإرهاب الدولة الذي يغذيـــه التنصّل الرّسمي من العقاب والصمت المطلق لوسائل الإعلام المهيمنة ، وتنكـــب منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان على نشر قائمة مفصّلة بمائتين وخمسين من القادة العسكريين ، ومائة من ضباط الشرطة كانوا وراء عمليات اغتيـــــال ، وتصفية ، ومجازر ، وتعذيب مابين 1977 و 1991 من بينهم عشرة كانوا قـــد نالوا الجزاء ، والآخرون يزاولون سلطاتهم .

* * * * * * * * * * * *

* لم يعد من الضروري أن تبرّر الغاية الوسائل ، فمن هنا فصاعدا تتكـــــفل وسائل التواصل الجماعي ، ووسائل الإعلام بتبرير النهايات . ويتوقّف الحيـــف الإجتماعي على شأن أمْنِي ، وإجتماع الأفراد لن يكوّن شعوبًا ، بل مجتمعـــــات استهلاك ، والإستهلاك ممنوع عن ثمانين بالمائة من الناس ، والنظام العالمـــــي مجْبولٌ على التطبيق الحاقد لتقنيات القمع والنسيان . فقناع التنصّل مـــــن العقاب الذي يخفي وجهه قد نسج من خيوط الضعف والأذعان ، لكن هناك وعيد

خفيّ في صدر كلّ ضحية لهذا النظام الذي يحارب "تبعات" أعماله الخاصّة . وبكل اقتناع ، لن يستطيع النظام ساعة الإحتفال بتبديد أعدائه أن يتجاهل كونه محكوم عليه بإنجاب أعدائه الخاصّين إلى ما لا نهاية ...

---

(1) EDUARDO GALEANNO : كاتب معاصر من دولة الايرغواي . من مؤلفاته : « الشرايين المفتوحة لأمريكا اللاتينية (1981) ـ وذاكرة النار (1985) ـ نشر مطبعة بلون PLON ـ باريس .

* Rio Grande : نهر مكسيكي ينبع من أقصى جنوب الولايات المتحدة ويصبّ في خليج المكسيك . من أهم المدن المقامة علي عدوته : ماتامروس Matamoros شرق العاصمة مكسيكو ، وآل باسو El. Paso في أقصى شمال المكسيك .

وتمثل المعالم الطبيعية الثلاث التي يذكرها الكاتب في هذا الإطار أهم النقاط التي يمرّ بها الخطّ الفاصل بين الشمال المصنّع والجنوب المستودع .(المعرب)

(2) يراجع في هذا الشأن :

. EL Salvador : Crises et vérités . Le Monde diplomatigue mai 1993

(3) = Medellin هي ثاني أكبر المدن الكولمبية ، تقع شمال العاصمة " بوقوتا " على مقربة من الحدود مع « باناما » تعتبر من أهمّ مراكز تجارة المخدرات في أمريكا اللاتينية . (المعرب)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الإحالات :

(1) أحصينا أكثر من عشرين دراسة في الغرض نشرت بمجلّة الإتحاف من العدد الأوّل . إلى العدد الخامس والثلاثين .

(2) من مظاهر تطور البحث في تاريخ سليانة ظهور كتاب " صفحات من تاريخ سليانة الحديث " للأستاذ عبد القادر الهاني ـ دار الشيماء للنشر والتوزيع تونس 1991.

(3) نستثني بحثا للأستاذ عبد القادر الهاني نشر بمجلة الحياة الثقافية يحمل عنوان " الدّور الثقافي والإجتماعي للزّوايا بجهة سليانة ".

(4) ممّن نبغوا في عهد الصنهاجيين علي الحصري القيرواني وابن شرف وابن رشيق وأبو الحسن القابسي .

(5) حسن عثمان ، منهج البحث التّاريخي ، دار المعارف بمصر، الطبعة الثالثة 1970 ص 174 .

ـ دروب الإبداع ـ

إشراف الأستاذ : محسن الكريفي

لعلّ المتتبّع للمحيط الثّقافيّ يكشف بيسر أنّ الإضافات بدأت تنسج دروبا واضحة في مجال الإبداع عامّة . وهي علامة تقبر النّبرة اليائسة التي تنعق خرابا بأنّ زمان القصّة والرّواية والخاطرة والشّعر قد ولّى أمام إغراءات العلم وصيحات المصلحة العاجلة وترجيح عالم المادّة على حساب القيم والصّور البلاغية ... إنّ هذه الشّهادة ليست وايدة الصّدفة أو تبريرا منحازا لفشل درب الإبداع ، بل حقيقة جسدها من يقطع من لحمه كلّ لحظة ألف قطعة ، ليعبّر عن خلجة من خلجاته ... ومن يهبط في شواطىء العوالم المنسيّة ، يجمع باقاته الشعريّة ليرصّع بها جبين عصر مجنون ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

... أحباء دروب الإبداع توطئة نسعى من خلالها لرسم دستور لكتاباتنا ... كي نلتقي على صدق ، وكي لا نرمي بعضنا بورود ذاوية أو بسمات صفراوية تأتي على صلواتنا المقدّسة وذواتنا الحالمة ... والإنحاف ، عازمة على فتح دروبها أمام من عرف منزلة الفنّ ... وتزيا بهواه ... وعمل على تخليص قمحه من الزّوان ...

يريد هذا العدد أردناه حافلا ، وددنا لو كان بالقدر الذي حلمنا ... ومع ذلك فأوّل ما نرجوه هرمًا شامخا يبدأ من الحجرة ، من الطّوية ، ومن سواعد لا تكلّ ،....

مرحبا بكم أيّها الخلاّن من مختلف الجهات وسنبقى في انتظاركم دومًا ، في انتظار جديدكم ، وقد نحدث في القريب العاجل موازنات بين أعمالكم ولم لا نشر عيون ما تكتبون في عدد مستقّل جامع لأحسن مساهماتكم ....

اتّصلنا هذه المرّة برسالة فيها عتاب حلو ، ولوم لذيذ من الطّالب زهير النّوري ، مرسّم بإحدى كليات القانون بالعاصمة ، كان متشائما ، بل وصل به الأمر حدّ التكهّن بمستقبل ما حبّره قلمه ، أخ زهير : سلّة المهملات لا تعرف لدينا إلا الإهمال فنحن نخصّص أرشيفا لكل المحاولات ولا نفاضل بينها إلا بحسب استجابتها لمعايير شعريّة مرتضاة ... ولتعلم أخ زهير أنّ أسرة الإتحاف تساعد أمثالك على سلّم الترقّي والمعراج نحو جنّة الإجادة . محاولتك التي تحمل عنوان « شظايا ورماد » المقتبسة عن مجموعة لنازك الملائكة تحمل بذور إحرامات الشّعر ، وخشوعك في عالم المصادمة بين « أهازيج الزّهور » وبراكين الحنين ، « همسات الفجر » وظلمة القبر ، مأساة الغريب وأيّام الرّحيل ، ومع ذلك فقد أردتها قريبة من الشّعر العمودي فمازجت بين رويّ الحاء والباء والرّاء والنون ، إلاّ أنّ هذه التقليعة قد أضرّت بمحاولتك لنقف على مضاربة بين طلاوة الكلمة المثالية التي رسمتها في عالمك ووتد القافية وركوعك أمام حدّ الجانب الصوتي ، أترك مزاجك على عفوية ، وطعّم تجربتك بعيون الشعر القديم ستخرج القصيدة على طفولتها ترتّل عوالمك القصيّة . شكرا على إهدائك القصيدة لنا وإلى روح جبران خليل جبران ونقتطف من هذه القصيدة ما يلي :

تشرق الشّمس ويزداد الحنين
تحت نار الجمر والقلب الحزين
حافيا أجري لوحدي
منشدا لحنا أنين
فوق أجنحة الطّيور والنّسور
وبين أنّات ودماء العاشقين

أمّا القصيدة الثانية فهي تحمل نفسا أسطوريا رمزيا عانق فيها الأخ زهير الزّمن الإطلاقي في بحثه عن حلم ضائع ، هاربًا من جحيم الإنزواء بين سكون الغرفة وصراخ النّشوة ووابل الجدب ... ويتماهي الصّراع الدّرامي بين الحلم والواقع لينفلت تموز من براثن الموت فينهمل المطر وتتدفق الأنهار وتتاسى أنشودة البناء والنصر . هذه القصيدة ورغم فقدانها لتجانس إيقاعي خارجيّ فإنّها توفرت على وحدات إيقاعية داخلية ضاقت

انسجاما بين النفس الملحمي والبعد الأسطوري والبناء المصطلحـــي والتركيبي لتنحت الدّلالات . وتشجيعا لك أخ زهير علـــــى هـــذه المحاولة ننشرها لك راجين أن تواصل عتابك إبداعا ولومك إجـــادة وعنفك إنسيابات شعريّة ...

عشتار

ترانيم الصّبح في أضواء الفجـــر
توقظ غربتي
تمزّق الصّمت الأخرس
وأنا وحـــدي
إلاهٌ للعاشقين تمرّد
صَبِيٌّ يجوب الأزقّة
يسترق الصّمت من تحت الجدران
أيا عشتـــار المجد
لمن هذه الأحزان ؟
وأين رقرقة الأنهار
وتمّوز يمخر لجّة الأمطار
وهول الأزمان ؟
فجأة تدفّق النّهر
وتعانت زغاريد النّسوان
تسوط كرى الطّير
ذبول الزّهر
وحلول الأوان
مزحى أيها الأصداء
حبلى أيتها الأنواء
لن يرحل الذي رحل ...

زهير النوري

* إلى الأخ الأمجد الكريفي

إذا كانت القصيدة الفارطة تقف على شاطئ التفاؤل فإنّ محاولة الأخ الأمجد الكريفي وهو مربّ بإحدى قرى الشمال الغربيّ جاءت حبـــلى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تستعر إنباء ، هي دويّ عبر حوار رصفه صاحبه ليبعث بنجواه ، وإنّ هـــذا الخطاب ورغم مباشرته يبقى منتميا إلى أصداء من أفعم هلوسة بظـــلال البريق والحريق والحريق ... يقول الأخ الأمجد :

أتسمعني يا صديق !
أصادفك آخر الإنباء
أعرف : ضالتك البريق
وعنفوان الأصداء ..
والهامة ثكلى
لا ترجو الرّجاء ..
آخر الأنباء
عواصف هوجاء
ومياهٌ نَغْسَى
تهاجم الأنواء
وطائر الحسّون حزينا
مـــا شـــدى ..
أحجية الوكر
ونزيف كربلاء
والسفن المشرّعة
بلا حنين طافت عليها
أغربة عصماء ...

مرحبًا بك أخ أمجد وأهلا بك صديقا بين أصدقاء دروب الإبداع وسننسـج مع يعض عبر الكلمة عوالم الإبحار وإمارة العشق وأمارات النبوّة الخالـدة .

أخ أمجد ، هذا العالم الذي تشكوه شهادة على بداية إبحارك في عالـــم الشّعر ، وشعورك بما حولك ... وعلوّة عن أعتاب الكلمة الممجوجة والترنيمـة الكاذبة ... ولكن نهمس إليك أن تصنع لنفسك قاموسا خاصًا وعالما تنسجـــه من الحبكة الشعرية المتجاورة لعبارات الأسف والبكاء المتداول ... أخ أمجـــد تذكرني بنبرتك الحزينة ، بمواويل نازك الملائكة وهي تجترّ آخر الأحلام في قصيدتها «صراع» :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومضى عامان ممطوطان مرّا في شحوب
كان عمري خربة يصبغها لون الغروب
تذرع الأشباح في الصمت دجاها
ويعيش البوم في ظلّ أساها
كلّما جالت بي الحيرة في القبو الغريب
مدت الذكرى ذراعيها إليّ
لونها يخلق من رغبتي دنيا
ويثير الوتر الميّت في قلبي الكئيب .

==========

* الأخت دلندة الهدياوي : طالبة بكليّة طبّ الأسنان بالمنستير : وصلتنا قصيدتك « الحياة تمر » وهي محاولة تحتاج إلى مزيد التنقيح والتمرّس بعوالم الشّعر والإحتكاك بفنون الدّربة والممارسة ..

أخت دلندة : الصورة الشّعرية تكاد تكون معتادة فموسيقى الليل ، والعبرات وانتظار اللّقاء ونوم الأحزان لا تخلو منها قراطيس الشعر ، صحيح أنّ الكلم مجال مشترك ولكن الانتقاء والاختيار ونسج نبرات خاصّة بك من المسائل الجوهرية لارتياد الشعرية والدّخول إلى غمارها ..كما أنّ محاولتك تحتاج إلى مزيد من الإثراء الإيقاعي لأنّك ركزت أساسا على رويّ الهاء الضّمير المتّصل وهو منوال لا يحتاج سوى إلى ترصيف كاء ... ومع ذلك فالقصيدة لا تخلو من إجادات وخاصّة توفر حسّ شاعري مرهف وتتبّع لتفاصيل تضاريس العالم الحسّي ، نحن ننتظر منك مساهمات أخرى لدى دروب الإبداع وتشجيعا لك ننشر مقتطفات من هذه القصيدة والأخت دلندة تهديها إلى أبيها :

الحياة تمرّ

يعاودني نسيم الليل
وينادي سكونه
أهرع إليه ، أفيقه
وأنيم شجونه ...
عبرات وأحزان ...

هفهفات آس لجفونـــــه
تجفّ العلامات مع الصّباح
يغيب صوت الليل والرّياح
وتتوارى الظّلمات
يجدّفها المـــــلاّح

دلندة الهدياوي

==========

ـ إلى الأخت فاطمة الزّكراوي ـ سليانة إطّلعنا على خاطرتك « عوالـــــــم الإنسان » ضمّنتها قراءتك لعالم الواقع الإنساني وما يسوده من تعسّـــف وأسئلة حائرة ومقاييس وموازين ، وظلمة حالكة ... ولكن نهمس إليـــك أنّ التعسّف لا يجب أن يوازيه تعسّف لغوي ولزوم ما لا يلزم ، فخاطرتـــــك عانقت صورة المقامات ، وجعلت كلامك مقيّدا وخاطرتك لابسة الحـــــذاء الصينيّ قد يدمي يوما طاقاتك الفنيّة ، حبّذا لو تطعمي كتاباتك بمطالعـات تعلّمك هذه التّداعيات الجامعة بين الوعي واللاّوعي ، الرّفض والقبول ، الحلم والواقع دون الالتجاء إلى حدّ موحّد ، فالثنائيات في عالم الإبداع تساعد على دخول دروبه ونحت ملكات تقدر على منافسة الموجود ، أرجو أخت فاطمـة أن تعلمي بهذه النّصائح وأن تطّلعي على كتابات ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران ووكتابات نازك الملائكة وعلي محمود طه . تشجيعا لك ، ننشر لـــك مقتطفات من خاطرتك ...

« عوالم الإنسان »

عبر دواليب الإنسان ، سبحت في عالم فريد ،... فرادة الإفراد ... عالـــــم الصّمت والسّكوت ، الكبرياء والشموخ ، الفضيلة والسّعادة وأخطبـــــوط التّلاشي ... كنت أنسج خيوط العنكبوت لأمدّ مطيّة الأفق ضدّ السّقوط ، ضـدّ الانهيار ، ضدّ التّعاسات ، ... طرقت جدليّة الكلام وعانقت مجرى السّـلام ... فكانت بداية النّهاية ونهاية البداية ... مليون سؤال يعجّ وقسمت ... فكـــان التّلاشي طرحت وقسمت ... فكان التّلاشي صولجانا والحقد المعفّر أمانـــا ...

الآنسة فاطمة الزكراوي

ـ إلى الأخ خليفة عبيد الشّارف : طالب جزائري بكليّة الحقوق بتونـــــس :
مرحبًا بك أيّها الأخ وبكلّ الأشقاء العرب ... نحيّي فيك غيرتك على الإتحاف ورسالتك التي ضمّنتها تهانيك لأسرة التّحرير وقد شدّتنا قصيدتـــــك الخاطفة بعنوان « حديث القلب » ، بالفعل كانت ومضة خاطفة ، وحديثـــا وجدانيا مشبعا إلهامات ، هي منوال يغنيك عن المطوّلات نشجّعك علـــى السّير على خطاها وقد سبقك أحد أحبّاء الإتحاف وأصبح له شأن وهو عزيـــز الوسلاتي ...تشجيعا لك أخ خليفة ننشر لك هذه القصيدة . شكرا لك علـــى الإهداء .. وهو بدوره يهديها إلى الرّوضة الغنّاء : روضة وإلى كل أصدقـــاء دروب الإبداع .

حديث القلب

هي ... أنا ...
من أكون ؟
وماذا تكون ؟
ما عساني أقول ؟
وأنا مهياف وحيد
أأتلو صمت المسافات ؟
أم أتلف مسافة الصمت ؟
وهذا حديث القلب
أوقد ناره

أحبّاء دروب الإبداع ، هذا درب سنضيئه معًا ، وفي انتظار بنات أفكاركم أهديكم هذه الأبيات التي مازالت ترتّلها الذّاكرة ممّا جادت به عاشقة اللّيل :

أنشري يا سفين أشرعـــــة السّيـ
ـر وشقّي عبَابَ هـــذِي الحيـــاة
ثمّ أرسي بنا على شاطئ الفـــنّ
وبين الأشعـــــار والأغنيـــات
علّنا واجدون في ذلك الشـــــا
طئ ظـــلّ السّعـــادة المتمنّـــى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com